وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

البنية المكانية في رواية "شعلة المايدة" لـمحمد مفـلاح

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص : تحليل الخطاب

إعداد الطالبين :

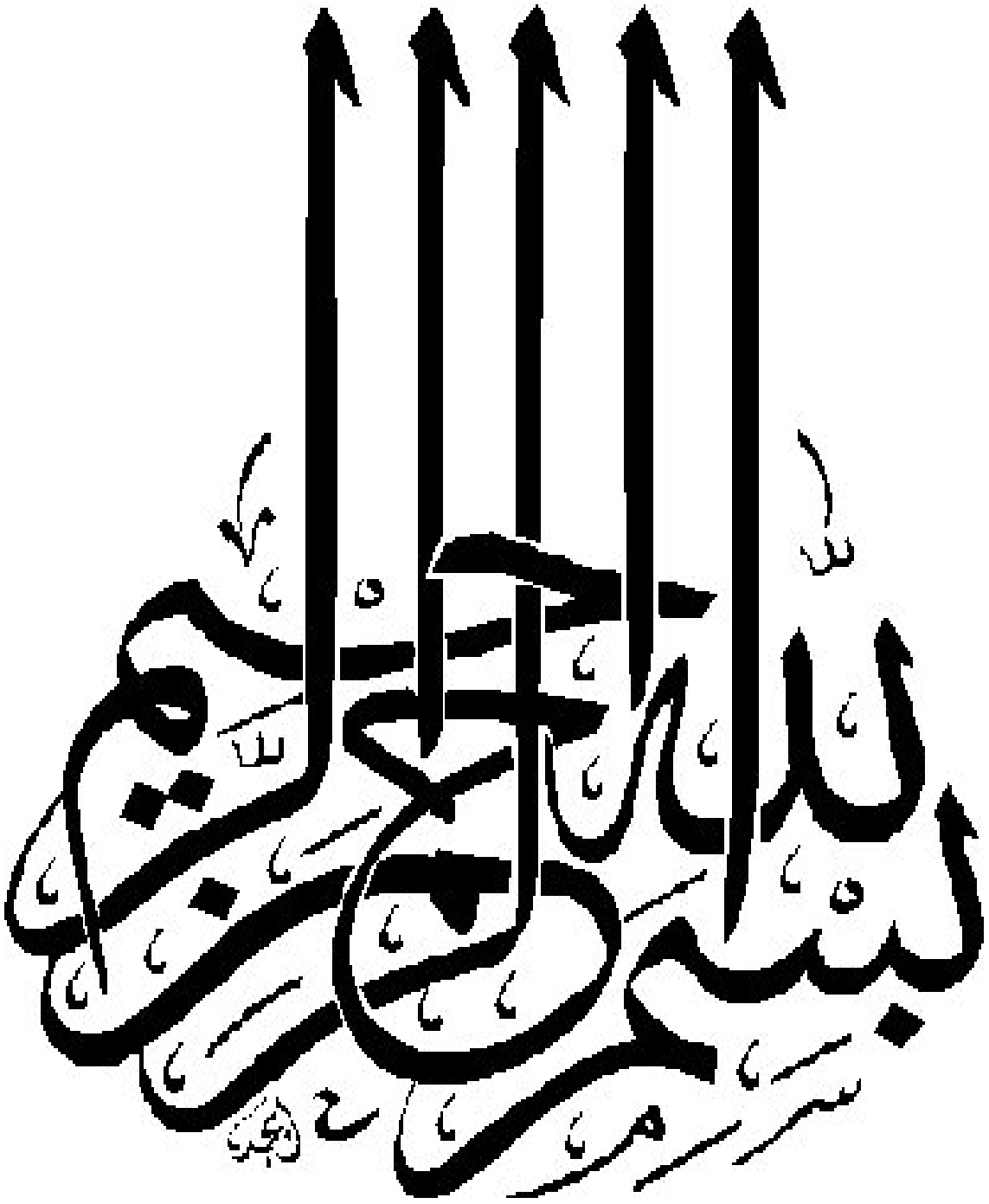
- تقي الدين سويسي
- أحمد خميس

إشراف الأستاذ:

- محمد سرير

السنـــــــة الجامعيـــــــة:

2015/2014


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

الشكر لله الذي وفقنا وأعاننا .

والحمد لله الذي يسّر لنا أمورنا .

إلى أستاذنا المشرف "محمد سرير" جزيل الشكر والامتنان

على حسن التوجيه والنصح و الثقة التي منحنا إيّاها .

و الشكر موصول أيضا إلى كل من ساهم معنا من قريب أو بعيد

في هذا البحث حتى ولو بكلمة طيبة .

شكر

الشكر لله الذي وفقنا وأعاننا .

والحمد لله الذي يسّر لنا أمورنا .

إلى أستاذنا المشرف "محمد سرير" جزيل الشكر والامتنان

على حسن التوجيه والنصح و الثقة التي منحنا إيّاها .

و الشكر موصول أيضا إلى كل من ساهم معنا من قريب أو بعيد

في هذا البحث حتى ولو بكلمة طيبة .

الإهـــــــــداء

إلى والدتي الغالية... جنّة أعيشها...

إلى والدي العزيز... قلب أحبني دائما...

إلى أخواتي الأعزاء مريم، إلهام، خديجة، آلاء ... قطعة من قلبي ...

إلى كل أصدقائي و أحبابي وكل من يعرفني

خاصة مقبرة أسراري مصطفى...

إلى كل من ساهم معنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل...

أهدي ثمرة هذا الجهد...

تقـــي الديـــن

منتديات ورد للفنون

الإهـــــــــــداء

إلى أمي ... رحمها الله وتغمدها فسيح جنانه

إلى أبي العزيز ... و قدوتي منذ نعومة أظافري

إلى إخوتي الأعزاء حياة، فتيحة، حميدة، رزيقة... خاصة أخي الوحيد "ناصر"...

إلى رمز البراءة ... الصفحة البيضاء

إلى ابنة أختي مليكة ... حفظها الله

إلى كل الأهل والأصحاب والأحباب ...

إلى كل من يعرفني

إلى كل فقير طالب علم

أهدي هذا العمل

أحمـــــــــــد

مقدمة :

تعد الرواية من أرقى الأجناس الأدبية وأقدرها على توسيع الوقائع اليومية بتفاصيلها في قالب فني يعرض الواقع ويعطي تصورا جديدا له، لذا حظيت باهتمام الدارسين على غرار بقية الأجناس الأخرى،إذ كانت حقلا خصبا من حيث الاشتغال على كشف الستار عن بعض المواقف والتجارب.

وظلّت الرواية العربية والجزائرية على وجه الخصوص تكشف عن جملة من التجارب وتنقلها حتّى تجاوزت اهتماماتها للكشف عن هموم الإنسان وتطلعاته المستقبلية، فضلا على أنها كشفت عن الحقائق التّاريخية التي طوّرتها الرّوافد الثّقافية.

واللافت للنظر أنّ الرواية الجزائرية بدأت تفرض نفسها على السّاحة الأدبيّة والنّقدية بفضل التّحولات التي طرأت عليها على مستوى الشكل والمضمون، وقد أثبتت وجودها من خلال تنوع مواضيعها و قرّاءها، و ترجمة بعضها إلى لغات أجنبية، لذا انصب اهتمامنا على تجربة إبداعية ذاع صيتها في الساحة الإبداعية العربية والجزائرية.

من بين الروايات العديدة اخترنا رواية "شعلة المايدة" للروائي الجزائري "محمد مفلاح" كمحل للدراسة، واستجلاء العنصر المكاني فيها، فطبيعة هذه الرواية التي تحفل بالكثير من الأمكنة تصف فترة هامة من تاريخ الجزائر من خلال استدعاء جهود الشعب الجزائري في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني سنة 1792 بقيادة الباي محمد الكبير.

وكون المكان أحد أهم العناصر السردية، حيث شكّل عنصرا بارزا في هذا المتن الحكائي، فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعناصر السردية الأخرى، إذ يستطيع الروائي أن يعكس من خلاله ما تشعر به الشخصية أثناء وجودها في مكان ما، ويمنحها تلك الحرية في التعبير، كما يتداخل عنصر الزمن مع عنصر المكان ليحدد معنى المكان، فالزمن والمكان يمثلان عاملا أساسيا فيً تحديد سياق الآثار الأدبية، لأن المكان يتحدد وجوده عبر رؤية الراوي داخل النص وخارجه، و بالتالي كان مدخلا لاختيار عنوان بحثنا " البنية المكانية في رواية شعلة المايدة لمحمد مفلاح " . والذي يتضمن إشكالية مفادها:

– كيف وظف محمد مفلاح المكان في روايته شعلة المايدة ؟

والتي تحيل على تساؤلات فرعية مفادها:

– ما طبيعة الخلق الدلالي والإيحائي للمكان في هذه الرواية؟

–كيف ساهمت الأمكنة في تشكيل البناء الفني العام للرواية؟

يرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، منها ما يتعلق بمجال الأدب و الاطلاع على المكان، وكذا رغبة منا في إثراء المكتبة العلمية الجزائرية من خلال هذا البحث العلمي، والاهتمام والتشهير بالأدب الجزائري، وتقديم تجربة الروائي "محمد مفلاح".

و قد واجهتنا بعض الصعوبات في هذه الدراسة و التي لم تنقص من إرادتنا وعزيمتنا لإتمام هذا البحث، نذكر منها:

- قلة الدراسات البحثية في الجانب التطبيقي على روايات "محمد مفلاح" .

-صعوبة الحصول على بعض المراجع.

- صعوبة فهم بعض المراجع المترجمة، إضافة إلى ضيق الوقت .

وكمحاولة للإجابة عن هذه الإشكاليات المطروحة اعتمدنا على الخطة المكونة من: مقدمة فصلين، وخاتمة.

أما **الفصل الأول** فكان نظريا وعنوناه بـ: "رؤية المكان في العمل الروائي" تطرقنا فيه إلى مفهوم المكان وأنواعه وبيّنا أهميته في الرواية، كما تطرقنا إلى جمالياته داخل الرواية مبرزين علاقاته بالعناصر السردية وأهم دلالاته ووظائفه.

في حين كان **الفصل الثاني** تطبيقيا عنونّاه بـ: تجليات المكان في رواية **"**شعلة المايدة**"**، تطرقنا فيه إلى إبراز طبيعة المكان التي وظفها محمد مفلاح في روايته و تبيان دلالاتها و إيحاءاتها.

ثم أنهينا دراستنا بخاتمة للبحث، بها مجموعة النتائج التي توصلنا إليها، وتذيل بحثنا بملحق به ملخص الرواية و السيرة الذاتية للسارد و بعض أهم أعماله الأدبية، ثم دوّنا قائمة المصادر والمراجع، وفهرسنا الدراسة فهرسة تحليلية تبرز هيكلتها.

وبما أن المنهج هو مفتاح الدراسة وأداتها التي تحاول استنطاق النصوص ، فقد اعتمدنا على المنهج البنيوي، وأخذنا منه ما يفيدنا في عملية التحليل، ذلك أن هذا المنهج يمتلك تلك السلاسة في عملية التحليل، كما يصبر أغوار النّص بالتعمق والفهم.

واعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع، شكلت زاد هذا البحث ومرتكزه العلمي نذكر منها: جماليات المكان لغاستون باشلار، و بناء الرواية لسيزا قاسم، و كذا بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي، و غيرها من المراجع التي لازمتنا طيلة البحث.

وفي الأخير لا يسعنا إلا التقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "محمد سرير" لتفضله كرم الإشراف علينا أولا وتتبعه لبحثنا هذا، وصبره علينا، وكذا توجيهاته وإرشاداته القيّمة، كما نتقدم بالشّكر الجزيل إلى أعضاء اللجنة المناقشة.

المبحث الأول: في مفهوم المكان:

1- تعريف مصطلح المكان:

يعدّ المكان من أهمّ المكوّنات التي تشكّل بنية الخطاب الروائي، حيث يستحيل علينا تصوّر العمل الروائي دون مكان تسير فيه أحداثه، لأنّه بمثابة العنصر الفعّال الذي تتجسّد فيه أحداث هذا العمل، وهو مفتاح من مفاتيح إستراتيجية القراءة بالنسبة إلى الخطاب النّقدي، ويشكّل محوراً من المحاور الرئيسة التي تدور حولها نظرية الأدب، والمكان الرّوائي هو المكان المتخيّل، إذ يكتسب أهمية كبيرة ودلالة خاصّة فهو ليس فقط مكاناً فنياً، وليس فقط عنصراً من عناصر الرواية، وإنّما هو المكان الذي تجري فيه الحوادث وتتحرك فيه الشّخصيات.

وقد شدّ انتباهنا ونحن نتقصّى لفظة المكان أن هناك الكثير من المصطلحات المقاربة له، يتعلّق ذكرها بلفظة (المكان) مرادفة أو احتواء أو مقاربة في المفهوم ، منها الامتداد، والبيئة، والحيّز والخلاء، والفسحة، والفضاء، والمحلّ والموضع، وغيرها مما أشار إليه سابقونا بلمحات سريعة غير ملمّين بمفاهيم كثير منها، ولنبدأ أوّلاً بمفهوم المكان لغة، ثمّ نستعرض بعدها المفهوم الاصطلاحي.

1-1- المكان لغة:

وردت كلمة المكان في "لسان العرب" تحت مادّتين مختلفتين، دون فرق يعرف بين التعريف في المادّتين، وفيه تحت مادّة (كون) أن «**المكان: الموضع، والجمع أمكنة وأماكن**»[1].

[1]- محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، تحقيق: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، المجلد الثالث (من حرف القاف إلى الياء) (مادة مكن)، ط1، 1970، ص 316 .

أمّا في مادة (مكن) فيقول أنّ:«**المكان والمكانة واحد، التهذيب: مكان في أصل تقدير الفعل مفعل لأنه موضع لكينونة الشيء فيه، غير أنه لما أجروه في التصريف مجرى فعال فقالوا: مكان له وقد تمكن، وليس هذا بأعجب من تمسكن من المسكين، قال والدليل على أن المكان مفعل، أن العرب لا تقول في معنى هو مني مكان كذا وكذا إلا مفعل كذا وكذا بالنصب، والمكان الموضع والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة وأماكن جمع الجمع**»[1].

والمكان هو «**المكان الطّبيعي، المكان الحقيقي في الواقع الخارجي المحسوس، وهذا المكان لا علاقة له بالمكان الرّوائي، لأنّه الموضع الحقيقي الثّابت الجامد**»[2].

ومع أنّ التعريف اللّغوي حاول أن يضبط مصطلح المكان ككلمة، إلاّ أنّ هذا المعنى يظلّ ضيّقا، إن لم نقل قاصرا، عن المعنى المراد دراسته هنا، وعليه فلابّد من تناول مفهوم المكان كعنصر سردي، وقد افترض الأمر علينا مقاربته على أكثر من صعيد.

1-2- المكان اصطلاحا:

تعددت التعاريف الاصطلاحية لعنصر المكان ، فلم نعثر على تعريف جامع مانع و إنما مجموعة تعاريف متباينة أو متمايزة كونه من المفاهيم الواسع الانتشار في الدراسات النقدية بحيث يصعب على الباحث أحيانا استقصاؤها أو حدها بتعريف واحد.

---

[1]- المصدر السابق، ص 517.

[2]- سمر روحي الفيصل، **بناء الرواية السورية**، منشورات اتحاد كتب العرب، دمشق، ط1، 1995، ص 251.

يرى أرسطو أن«**المكان موجود ما دمنا نشغله ونتحيز فيه، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقلة من مكان إلى آخر، والمكان لا يفسد بفساد الأجسام**»[1].

أي أنه هو المكان العام الذي يحوي الأجسام كلها ، ويساوي مجموع الأمكنة الخاصة، بمعنى أن المكان عند أرسطو موجود ولا يمكن إنكاره.

كما نجد على حد قول الناقد "ياسين النصر" هو:« **كيان اجتماعي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه لذا فشانه شان أي نتج اجتماعي يحمل من جزء و أخلاقية و أفكار ووعي ساكنة**»[2] . فالمكان بهذا التوصيف يخلق علاقة تلاحمية مع الإنسان و هو جزء لا يتجزأ منه، يحتوي أهواءه و ميولاته و حتى ذكرياته.

بينما يذهب "الدكتور عبد الفتاح عثمان" ليحيلنا على تلك الدلالة المعنوية البعيدة لمفهوم المكان مجاوزا بذلك دلالته الهندسية الجغرافية «**حيث يصبح المكان كائنا حيا يمارس حركيته في الخطاب و يؤثر ويتأثر بباقي المكونات الروائية خاصة الشخصيات**»[3].

غير أن هذا المفهوم تطور عبر الزمان، حيث نجد أن الأدباء والنقاد يرون أن المكان في الدراسات والأبحاث الحديثة يعادل مصطلحات أخرى، محدثا تداخلا مفهوميا على مستوى الدلالة فنجد "عبد الملك مرتاض" قدم بعض التفاسير لمصطلح الفضاء والحيز «**فالحيز مقابل للمصطلحين الفرنسي والانجليزي (Space–Espace) ولعل أهم ما يمكن إعادة ذكره هنا أن مصطلح**

---

[1]– حسن محمد العبيدي: **نظرية المكان في فلسفة ابن سينا**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1987، ص48

[2]– ياسين النصر، **الرواية والمكان** ، دار الشؤون العامة، العراق، بغداد 1986، ص 16.

[3]– عبد الفتاح عثمان، **بناء الرواية** (دراسة الرواية المصرية)، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، دت، ص 59

الفضاء قاصر بالقياس إلى الحيز، لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل والحجم والشكل، على حين أن المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده»[1]،

كما أنه يميز بين المكان والحيّز بوصف المكان حيّز له بداية وله نهاية، أما الحيّز«**لا حدود له ولا انتهاء، فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضطربه كتاب الرواية فيتعاملون معه بناء على ما يودون من هذا التعامل، حيث يغتدي الحيز من بين مشكلات البناء الروائي كالزمان والشخصية واللغة** »[2] يتّضح جليّا لنا أن "عبد الملك مرتاض" يتبنّى مصطلح الحيّز على حساب الفضاء والمكان مبديا رأيه إلى ضرورة تمييز الحدود بينهما .

والمكان في العمل الروائي غيره الحيز أو الفضاء ، فالفضاء ملمح معنوي يمثل تلك الأحاسيس التي تخلقها الأمكنة في نفسية الشخصيات ، سواء انجذبنا إليها أو نفرنا منها، بينما الحيز مرتبط بالجانب الشكلي المتمثل في الوزن والثقل والحجم ، والمكان قد يستخدم أحيانا للتعبير عن الأشياء المحسوسة التي تلف الشخصيات وتحيط بها .

وفي سياق آخر يذهب "حميد لحمداني" إلى التدليل بعنصر الفضاء وعلاقته بالمكان، حيث يورد «**بأن الفضاء يفترض دائما تصور الحركة بداخله ، أي أنه يفترض الاستمرارية الزمنية** »[3] ، فالفضاء هنا يحتوي مجموع الأمكنة المتواجدة في الرواية ويتسم بتلك الحركة الزمنية الدائرية، و العناصر

[1]- عبد الملك مرتاض، **في نظرية الرواية** ، بحث في تقنية السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1998، ص 121.

[2]- عبد الملك مرتاض، **في نظرية الرواية** ، ص 125.

[3]- حميد لحمداني ،**بنية النص السردي**، ص64.

المكونة للفضاء إذا «**هي أماكن متفرقة مترددة خلال مسار الحكي، والفضاء كل هذه الأشياء، انه يلف مجموع الحكي ويحيط به**»[1]، و الفضاء بهذا التوصيف يكون أشمل من المكان على طول صيرورة الحكي ويطغى على الشكل العام للرواية.

في حين يطلعنا "حسن بحراوي" على علاقة المكان بالفضاء و يجمع بين المصطلحين انطلاقا من درجة صعوبة الفصل بينهما، فالفضاء عنده قد ارتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم المكان لاعتبار أن لكل مكان فضاءاته«**وشعرية المكان تسلم بتأثير الوجود الإنساني على تشكيل الفضاء الروائي وتلح خصوصا على أهمية رؤية الإنسان للمكان الذي يؤهله**»[2]. فصعوبة التمييز بين هذين المفهومين في الدراسة إلا ما وجد من فروقات بينهما ، فرض علينا و لو بإشارة وجيزة في تداخل هذا العنصر بذاك .

في حين أنّ "سيزا قاسم" ترى المكان في الرواية مكانا مجازيّا حتّى وإن أشارت إليه أو عنته أو سمته بالاسم، وليس هو نفس المكان المتمثل في الواقع الخارجي « **فالنّص الرّوائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة** »[3]، وبذلك فإنّ مكان الرّواية هو مكان قائم في خيال الكاتب، ويتمّ بناءه من خلال الوصف والقدرة الإيحائية للّغة، فصورة المكان الواحد تتنوّع حسب رؤية النّظر التي يلتقط منها.

---

[1]- المرجع السابق، ص64.

[2]- حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1، 1990، ص 45.

[3]- سيزا قاسم، **بناء الرواية**، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار النشر للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 1995، ص 100.

كما نجد "يوري لوتمان" يعرّف المكان بقوله إنّه:«**مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة ...الخ التي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/العادية مثل : الاتصال والمسافة** »[1]، إذ ينطلق من فرضية أساسية مفادها أن شبكة العلاقات تنتظم وفق تراتبية من التقابلات المكانية، كمفاهيم الأعلى/ الأسفل، القريب/البعيد، المنفتح /المنغلق،المحدد /اللامحدد، و المنقطع/ المتصل .

وبناء على ما تقدم، يتبين لنا أنّ مفهوم المكان يستعصي على الباحث تحديده بتعريف واحد خاصة وأننا نتصادف ببعض المفاهيم المماثلة له في أغلب الدراسات، والتي تتداخل معه أحيانا إلى حد صعوبة الفصل بينها، فهذه المفاهيم تحمل أكثر من مفهوم وأكثر من دلالة ، لارتباطها بما هو موجود سواء أكان محسوسا أو مدركا ، وبذلك يتجاوز معناه المقتصر عليه كجغرافيا ، ليتسع بناء على الدراسة التي تناولته، ومهما يكن هذا التعدد فإن المكان واحد وهو الذي يشمل حيزاً من المساحة التي تقاس.

[1]– أحمد طاهر حسين وآخرون، **جماليات المكان**،دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988، ص69.

1-3- المكان في الرواية :

يعدّ العنصر المكاني من العناصر السردية المهمة و المساهمة في تشكيل البناء الفنبي العام للرواية فالكاتب يخلق ذلك العالم الخاص بواسطة الكلمات التي ترسم في ذهن القارئ، صورة الواقع المشار إليه .

ويكون هذا الواقع متخيلا يأتي به السارد ويحشد له عددا من الأماكن المتخيلة التي تخلخل ذهن القارئ وتجعله يدرك ويتخيل أماكن وقوع الحدث، ويتحول بذلك المكان «**إلى محاور حقيقي يقتحم عالم السرد محررا نفسه هكذا من أغلال الوصف**»[1] ، والكاتب هنا يستطيع التلاعب بصورة المكان و يخلص هذا الأخير من حالة الجماد و الانغلاق المعهود ويعمد إلى خلق جو فني جمالي يطغى على الإطار العام للمتن الحكائي ويخلص به إلى «**دلالة جديدة تفوق دوره المألوف كديكور أو وسيط يؤطر الأحداث**»[2] و في مقابل هذا نجد هذا الاستعمال الواقعي للمكان من خلال الروايات الواقعية التي تحمل الواقع المحسوس إلى عالمها الخاص بحيث يستطيع القارئ التماس هذا الواقع بحواسه ويكون بذلك خاضعا لقوانين الحكمة والمنطق ، فهذه الأخيرة « **تستخدم وصف المكان لتأخير الأحداث و ربطها بالعصر والمستوى الاجتماعي حيث يصبح وصف الأمكنة دالا على تعارض أنماط الحياة**»[3] فالروائي يستل هذه الأمكنة من الواقع المعاش و يربطه بالمستوى الثقافي و الاجتماعي للشخصية لتتلاءم و طبيعة الدور الذي تلعبه داخل الرواية ، فالواقع الذي

[1]- حميد لحمداني ، **بنية النص السردي**، ص71.

[2]- المرجع نفسه، ص 71.

[3]- المرجع نفسه، ص70.

يعيشه الكاتب ينقلنا إلى عالم أخر افتراضي في الرواية له خصوصيته المكانية ،و المكان هو الإطار العام الذي تجري فيه الأحداث.

2- أهمية المكان في العمل الروائي

يحظى المكان بأهمية واسعة في العمل الروائي خاصة في علاقاته التلاحمية مع مجموع الأمكنة للفضاء العام للرواية، و قد نجد بعض الأمكنة التي تخلق لنفسها مكانة خصوصية تجعلها لبنة أساسية للرواية « **لأن الرواية تصنع عالمها الخاص من الواقع فهي قابلة لان تجعل كل الأمكنة مادة لبناء فضائها الخاص**»[1] و الروائي دائم الحاجة إلى تحديد الإطار المكاني للمتن الحكائي ، فأهمية المكان للرواية كأهميته للإنسان الذي يحدد من خلاله هويته و شخصه، فهو ملازم له ولا يستطيع مفارقته .

وأحيانا كثيرة ما يحن إلى مهد طفولته وأماكن لعبه ولهوه، و هذه الذكريات المكانية تثير في نفسه ذلك المعنى الجمالي الحنيني وحتى الطفولي «**فعلاقة الإنسان بالمكان علاقة وجودية حميمية لا يتحقق معنى الحياة إلا بهما معا**»[2]، وعلى حد قول "غاستون باشلار"«**فالمكانية في الأدب هي الصورة التي تذكرنا و تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة**» [3]

وقد يتحول المكان إلى فضاء أوسع يحتوى مجمل العناصر السردية الأخرى كالأحداث والشخصيات، وذلك بمنحها المناخ الملائم الذي تسير وتتفاعل فيه مشكلة بذلك شكل النسيج

---

[1]- حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 72.

[2]- يوسف محمود عليمات، **صورة المكان في شعرية ابن قيس الرقيات**، المجلة الاردنية في اللغة العربية ، مجلة علمية عالمية محكمة ،جامعة مؤتة، مج 3، العدد2 ، ربيع الأول، نيسان 2007، ص 169.

[3]- غاستون باشلار، **جماليات المكان**،تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984،ص6.

اللغوي الروائي، فيكون المكان « **هو نفسه المساعد في تطوير بناء الرواية والحامل لرؤية البطل و الممثل لمنظور المؤلف**»[1]، و يمثل أيضا الخلفية التي تحتضن الشخصيات و تؤطرها بحيث «**يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله** »[2]، وتحليله هو الذي يؤهلنا إلى القبض على دلالته في العمل الروائي وبالتالي يمكننا من فهم مجمل الأوضاع السياسية و الثقافية و الاقتصادية لمجتمع من المجتمعات.

وقد ينفلت منا العمل الأدبي و بخاصة الروائي بانفلات وغياب العنصر المكاني إذ«**إن العمل الأدبي يفقد خصوصيّته وأصالته إذا فقد المكانية**»[3]، فتحديد الروائي للبعد المكاني يعطي للعمل قيمة ومصداقية سواء كان متخيلا أو واقعيا و بذلك يرتقي عالم الرواية و يتوازى والعالم الحقيقي.

أكّد "هنري متران" على أهمية المكان عندما جعل الوعي عاملا فعّالا في الصّيغة الشّكلية للمكان، حيث يقول أنّ «**المكان هو الذي يؤسّس الحكي لأنّه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة**»[4]، أي أنّ المكان يؤثر في الشخصية بتحفيزها إلى إيجاد الأحداث فعلامات المكان التي تحضر في النصوص الروائية تشكل أحد ملامحه الرئيسية ، نظرا لأنه مؤثر ومهمّ في البنية الروائية وتكمن أهمية هذه الأمكنة في أنها تؤثر في نمط حياة الشخصيات .

---

[1]- أحمد زياد محبك، **دراسات نقدية من الأسطورة إلى القصة القصيرة**، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2001 ،ص147.

[2]- حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، ص 33.

[3]- غاستون باشلار، **جماليات المكان**، ص 06.

[4]- حميد لحمداني، **بنية النص السردي**، ص 65.

ولأن الفن الروائي لا يزال تألقه رهين عناصره الأساسية، فيمثل المكان فيه «أحد الركائز الأساسية التي يرتكز عليها العمل الأدبي، ولا سيما الرواية فهي تحتاج إلى مكان تدور فيه الأحداث، وتتحرك خلاله الشخصيات ولا يهم إذا كان المكان حقيقيا أو خياليا، من نسيج خيال الكاتب»[1]،

نستخلص مما عرضناه سابقا أن المكان من أهم المكونات التي تشكل بنية الخطاب الروائي فبدونه لا يمكن لنسيج السرد أن يستوي أو يستقيم في طريقة عرضه للأحداث وهندستها، فالروائي غالبا ما يعمد إلى توظيف العنصر المكاني لتأطير عمله، فهو لا يقل أهمية عن بقية العناصر السردية الأخرى « **لأنه لا يمكن أن نتصور أحداثا أن تقع خارج المكان بل لابد أن تقع في فضاء مكاني حقيقي بصورة الكاتب بواسطة اللغة**»[2] فثقافة المكان في العمل الإبداعي تتجاوز حدود المكان الجغرافي ، عندما تمارس الثقافة فعلها الإيجابي على مستوى الحضور والتفاعل والتجدد.

[1]- أسماء شاهين،**جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا**، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001،ص15.

[2]- إبراهيم السعافين، **تحولات السرد: دراسة في الرواية العربية** ، دار الشروق، عمان، الأردن ، 1996،ص 77.

3- مستويات المكان في الرواية

3-1- مصادر المكان الروائي

تتعدد المصادر التي يستعين بها الكاتب أثناء تعامله مع المكان، فمنها ما هو واقعي وهو الشائع ومنها ما هو تاريخي، ومنها ما هو أسطوري خرافي، والمكان في أغلب الروايات الحديثة يتخذ شكله من الواقع، مستمدا التسمية و الحد و الموقع، فلا نجد الروائي يستعمل مكانا إلا عايشه أو سمع عنه، فالرواية تتحدث عن مناطق و أماكن مختلفة، ولا تتوقف علاقة المكان الروائي بالواقع عند حد التسمية، بل تتعدى ذلك إلى تأثر الكاتب بالواقع الريفي أو الواقع المدني، فتفتح أفقا رحبا للمؤلف في إذكاء نصه بالأحداث و اقتراح الحلول، من خلال معالجته لأحد القضايا الشائكة في الواقع .

إنّ الاعتماد على الواقع يجعل المتلقي مشاركا في العمل السردي، يتحرك في الأمكنة التي يمر عليها من خلال عملية القراءة، ونظرا لهذا نجد العديد من الكتاب يعمدون إلى استعمال المكان الواقعي ، وعليه «**فإنّ القصاص الواقعي كثيرا ما يستهل عمله بسمات مكانية واضحة الانتساب إلى مواقع معينة معروفة، مع الإكثار من التفاصيل، وتدقيق الملامح المميزة وذلك حتى يضمن تتريل القارئ في عالم القصة باعتبارها إيهاما بالواقع**»[1].

[1]- الصادق بن ناعس نعومة، **علم السرد: المحتوى والخطاب والدلالة**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2009، ص 104.

كما يعبر المكان الواقعي عن حياة الروائي أو جزءا منها أو يعبر عن حياة أمته بأكملها، فيغدو المكان هوية للكاتب أو أمته، فالمكان له أثر«**في التعبير عن هوية الكاتب الروائي الشخوص، فالحياة الإنسانية خلاصة الظروف و البيئة المحيطة، و التاريخ، و العادات، التقاليد، والأعراف، ونتيجة ذلك نجد الكثير من الكتاب يحاولون من خلال المكان التعبير عن تمسكهم بهويتهم**»[1].

ما نخلص إليه هو أن الرواية باعتبارها عملا فنيا جماليا تعتمد على الخيال الفني، كما أنها تنهل من الواقع حتى يمزج بين الفن والحقيقة ، ويعمل على جعل المتلقي متعلقا بها و مسايرا لأحداثها.

[1]- إبراهيم خليل، **بنية النص الروائي**، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط1، د.ت، ص 141.

3-2- أنواع المكان الروائي

تختلف أنواع المكان الروائي من دارس إلى آخر، ومن نص لآخر، فالدارس يقوم باستنتاج أنواع المكان من خلال استنطاقه وفهمه للنص الروائي لأن«**الأحداث تجري فيه وتتحرك الشخصيات خلاله وكل حادثة لابد أن تقع في مكان معين وترتبط بظروف وعادات ومبادئ، خاصة بالمكان الذي وقعت فيه**»[1].

فالاختلاف الحاصل في طبيعة الأمكنة ناتج عن طبيعة النصوص السردية التي تختلف في منطلقاتها وشخصياتها وأزمنتها، فيمكن للمكان الواسع أن يعبر عن ثقافة معينة في نص ما، بينما نجده يعبر عن ثقافة أخرى في نص آخر، وعليه فالفهم الصحيح للنص الروائي هو الذي يحيلنا على أنواع الأمكنة.

و صُنّف المكان على إحداثيات المغلق والمفتوح، بحيث نجد المكان المغلق هو الذي يحوي حدود مكانية تعزله عن العالم الخارجيّ، والذي يحمل انعكاسا انغلاقيا سواء تعلّق ذلك بالنفسية، فيغير ذلك عن القيد والحزن والحيرة أو تعلق بالماديات كالأماكن المحدودة كالبيت و السجن.

و«**تؤدي الأمكنة المغلقة دورا محوريا في الرواية، لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية فتغدو هذه الأمكنة المغلقة مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب والخوف**

[1]- عزيزة مريدن، **القصة والرواية**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1980، ص 28.

فالأماكن المنغلقة ماديا واجتماعيا تولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في النص، وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا، ولا يخلو أيضا من مشاعر الضيق والخوف»[1].

في حين نجد أن المكان المفتوح هو الذي لا يحده حدود ولا حاجز له، كما يبعث فينا الشعور بالحرية والاندفاع،«**ويتمثل في الأمكنة التي لا يحدّها جدار، ولا سياج، ولا أي شيء منفتح على الفضاء الخارجي، وعادة ما يكون المكان المفتوح يوحي بالحرية والطلاقة في التصرفات»**[2].

فهو يعد حيزا مكانيا خارجيا لا تحده حدود ضيقة، يشكل فضاء رحبا، وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق.

وقد قسم الدارس "حسن بحراوي" المكان الروائي، إلى قسمين مختلفين هما :

1- أماكن الإقامة :وفيها تعرف الشخصية الروائية نوعا من الثبات والسكون.

2- أماكن الانتقال :في فلكها تعرف الشخصية حركة دؤوبة ودائمة.

كما قسم بدوره هذه الأماكن إلى أجزاء مكانية فرعية فاستنتج من القسم الأول فرعين هما:

أ -أماكن الإقامة الاختيارية :وتحدث فيه عن مكان البيت، الذي أولاه أهمية كبيرة ، إضافة إلى هذا المكان يمكن أن نجد أماكن أخرى مماثلة .

ب- أماكن الإقامة الإجبارية :لما يكسبه هذا النوع من الأمكنة دلالة مهمة في العمل الروائي قد تعبر عن الانتماء الفكري للكاتب، كما أنه قد يضفي طابع الصراع الداخلي في الرواية.

واستنتج من القسم الثاني فرعين كذلك هما:

---

[1]- حفيظة أحمد، **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية**، 1950 – 2000، مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، ط1، 2007، ص 134-135.

[2]- المرجع نفسه، ص 166.

أ –أماكن الانتقال العمومية :وهي الأماكن التي يشترك فيها أكثر من شخص واحد

ب –أماكن الانتقال الخصوصية :و هي الأماكن الخاصة بشخص واحد، أو يملكها.

كما قدم الدارس "شاكر النابلسي" مبحثا مهما في تقسيم المكان الروائي، والتي يراها تنقسم إلى أربعة أنماط «**المكان المجازي: وهو المكان المفترض، ذو الوجود غير المؤكد، والمكان الهندسي:وهو المكان الذي تعرضه الرواية بأبعاده الخارجية، و يكون خاليا من المعلومات التفصيلية، والمكان الثالث، هو المكان ذو التجربة المعاشة :وهو المكان الذي عاشه الروائي وبعد أن ابتعد منه، أخذ يعيشه في الخيال، وهو المكان القادر على إثارة ذكرى المكان عند القارئ، والمكان الرابع، هو المكان المعادي :وهو المكان الهندسي المعبر عن الهزيمة واليأس**»[1].

[1]– شاكر النابلسي، **جماليات المكان في الرواية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994، ص 12.

المبحث الثاني: جمالية المكان في العمل الروائي

1- علاقة المكان بالعناصر السردية

يعدّ المكان من العناصر السردية المهمة التي يرتكز عليها الروائي في بناء روايته دون فصله عن بقية العناصر الأخرى من زمن وشخصيات وأحداث، التي تشكل معه علاقة وطيدة، «**فلا يمكن بأي حال أن يظل منعزلا عن بقية المكونات السردية الأخرى للنص**»[1] فالشخصيات مثلا لا تقوم بالأحداث إلا عبر تحركها داخل أماكن معينة لأنها من العناصر الأساسية التي يقوم عليها الحدث، فالشخصية تنجز الحدث والحدث غير معزول عن الأماكن، وبالتالي تشكل هذه العناصر وغيرها عنصرا يرسم مسار الحكي ويوجهه، فهذه العلاقة التي تجمع بين المكان وبقية المكونات السردية، شبهها "حميد لحمداني" بالخلية الحية،«**فإذا كانت الحبكة والشخصيات تمثل النواة داخل هذه الخلية الحية التي تشكل الرواية، فإن ما سميناه باسم المحيط يمثل السيتوبلازم الذي تسبح فيه تلك النواة**»[2].وتأسيسا على ذلك يمكننا النظر إلى المكان الروائي من خلال علاقته بالزمن والشخصيات والأحداث «**فالمكان يعد المركز الذي تتكثف فيه المكونات السردية**»[3] .

---

[1]- جوزيف كيسنر، **شعرية الفضاء الروائي**، تر: لحسن حمامة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2003، ص10.

[2]- حميد لحمداني، **بنية النص السردي** ، ص 81.

[3]- عبد الله محمد عيسى الغزالي: **جمالية التشكيل المكاني في مقامات بديع الزمان الهمذاني**، المجلة الأردنية في اللغة العربية ،مجلة علمية عالمية محكمة، ص 213.

1-1- علاقة المكان بالزمن:

يعتبر المكان والزمن من العناصر المهمة في البناء الروائي إذ لا يمكن الاستغناء عنهما ولا فصلهما للعلاقة الوطيدة التي تربطهما، فلا يمكن ذكر أحدهما بمعزل عن الآخر.

وقد عبرت "سيزا قاسم" عن علاقتهما بقولها «**إذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه**»[1]، وهذه العلاقة التي تجمع بين المكان والزمن صعبة الانفصام والانفصال سواء في النص الأدبي أو في الحياة اليومية.

ويقول "أحمد فرخوش": «**يشكل المكان قسيماً للزمن**»[2]، من خلال هذه المقولة نستنتج أنّ الزمان والمكان يعدان من أهم العناصر المكونة للخطاب الأدبي، فالإنسان يولد في الزمن ويموت في الزمن، وأصوله وجذوره لابدّ أن تكون مرتبطة بمكان ما، وإن أي رواية تكون مرتبطة بمكان وزمان تتحرّك فيه الشخصيات، إذ لا يمكن توقع رواية يغيب فيها أحدهما أو كلاهما.

وما يؤكد ذلك قول "نور الدين صدوق" إنّ «**الزمان والمكان يتلاحقان في النص الروائي، هذا التلاحق لا يشي بأن لهما نفس الخصائص والتمظهرات: بل للزمن مواصفاته...وللمكان اعتباراته وسماته**»[3]، نستنتج من خلال هذه المقولة أنّه رغم الارتباط الوثيق بين الزمان والمكان، إلا أنه يبقى لكلّ واحد منهما مميزات وخصوصيات ترتبط به.

---

[1]- سيزا قاسم، **بناء الرواية** ، ص 102.

[2]-أحمد فرخوش، **جماليات النص الروائي**، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1996، ص86.

[3]-نور الدين صدوق، **البداية في النص الروائي**، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1994، ص46.

ويرى "عبد الملك مرتاض" «**إنّ للزمن والمكان حضوراً ظاهراً وقوياً في أي عمل روائي، كما لهما تأثير على بقية العناصر البنائية الأخرى من أحداث هامة وشخصيات محركة للحدث فهما يشكلان مناخ القصة، حيث يستحيل تناول المكان بمعزل عن تضمين الزمن، كما يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصب على عمل سردي دون أن لا ينشأ عن ذلك المكان في أي مظهر من مظاهره**»[1].

نستنتج من خلال ما ذكرناه أنّه لا يمكن الفصل بين الزمان والمكان نظراً للترابط الشديد بينهما خصوصاً في الأعمال الأدبية و الروائية، وكذلك لما فيهما من تداخل في بناء النص و تماسكه، و ربما بمجرد حذف أحدهما يختل الجانب الشكلي للرواية و تأفل دلالة النص العامة ، فالمكان لا يستغني عن الزمن كما أن الزمن لا ينفصل عن المكان .

[1]– عبد الملك مرتاض، **تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية** ،مركبة لزقاق المدّق، ديوان المطبوعات الجامعية، ص227، بتصرف.

1-2- علاقة المكان بالشخصية :

يرتبط المكان بالشخصية ارتباطا وثيقًا ملازمًا لها فهو داخل العمل الروائي يحدد معالمها و يبين عن أفكارها و متطلعاتها، بحيث يعدّ «**الحاضنة الاستيعابية والإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات وتتفاعل معه و أي نص مهما كان جنسه الأدبي لا بدّ أن يتوافر على هذا العنصر مادام فعل الحكي هو الأساس الذي ينطلق منه و يعود إليه ويتمظهر من خلاله بواسطة آلياته وقوانينه**»[1]، فالشخصية تتأثر بالمكان وتؤثر فيه من خلال تميزها بحركتها الدائمة والمستمرة من مكان إلى آخر، و بالنظر إلى أهمية الشخصية داخل الرواية وخلقها لتلك العلاقة الحميمية مع المكان«**فلا تكون علاقاتها هامشية وطارئة وإنما هي في الصميم حيث المكان مؤهلا للكشف عن لا وعي الشخصية و حيويتها النفسية والاجتماعية** »[2] فلا يمكن للشخوص أن تتحرك بمعزل عن الأمكنة سواء كانت مفتوحة أو مغلقة ، وعليه لا يمكن للشخصيات أن تعيش خارج المكان فهو البيئة التي تمارس فيها حياتها « **فهذه الأماكن تتلاحم معها و تندمج فيها و تحس بألفتها** »[3]،

و يعمد السارد إلى اختيار الأمكنة التي تدور فيها أحداث الرواية و يختار لها الشخوص المناسبة التي تتلاءم وطبيعة ذلك المكان ليمكن القارئ من معرفة نفسية الشخصية والحكم عليها

---

[1]- محمد صابر عبيد، سوسن البياتي ، **جماليات التشكيل الروائي** (دراسة في الملحمة الروائية)، مدارات الشرق، عالم الكتب الحديث للنشر، ط1، 2012، ص 196.

[2]- قادة عقاق، **دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر**، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، دمشق، 2001، ص 260.

[3]- محمد صابر عبيد، سوسن البياتي ، **جماليات التشكيل الروائي** ، ص 198.

من خلال تواجدها في المكان، ولهذا يمكن لبنية المكان الروائي «**أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية**»[1] فالشخصية التي تعيش في العالم المتقدم ليست كالتي تعيش في العالم المتخلف، سواء من حيث الحالة النفسية أو حيث التفكير، أو من جميع النواحي.

بالتالي فإن الشخصية عند تفاعلها مع المكان تقوم بدور هام في سيرورة السرد الروائي، فهي بمثابة القلب النابض و المحرك الأساسي لسير الأحداث من خلال تلك الأدوار التي تتقمصها

ولعل المكان هو الذي يكشف الستار عن الشخصيات من خلال تلك العلاقة الوطيدة بينهما، فلا طالما كان المكان هو المحور الأساسي في رسم طبيعة الشخصيات و الأدوار التي تقوم بها من خلال ذلك المقام أو البيئة التي تربطهما.

[1]- حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، ص 30.

1-3- علاقة المكان بالحدث:

إنّ بنية الأحداث في الرواية تخلق ذلك العالم الروائي المتميز، فالسارد يحكم قبضته على اللغة ليتلاعب بمختلف العناصر السردية الأخرى ، فالحدث كغيره من العناصر لا يخل من البعد المكاني الذي يحدد مكان وقوعه ، فلا يمكننا الفصل بأي حال من الأحوال المكان عن حدثه،«**ويعد أبرز عناصر الرواية، لأنه يكون العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية السابقة.**»[1]

وعلاقة المكان بالحدث علاقة وطيدة، لأنّ «**وقوع حدث من الأحداث يفرض تعيين موضع له، وما لم يأت ذكر المكان يظل من المتعذر الشروع في المغامرة**»[2]، يعني هذا أن غياب المكان يفترض تغييب الحدث، لأنه هو المسرح الذي يشمل أفعال الشخصيات ويحتويها، و يعتبر كديكور أو وسيط يؤطرها، فلولا وجود الأحداث لانعدمت حاجتنا إلى المكان، وبتلاحمها يبلغ النص السردي غايته المقصودة، وبالتالي فإن علاقة المكان بالحدث شأنها شأن علاقته بالمكونات السردية الأخرى،« **فالمكان جزء من الحدث خاضع خضوعا كليا له فهو وسيلة محددة باحتوائه على الأحداث الجارية**»[3].

---

[1]- مهدي عبيدي، **جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة**(حكاية بحار، المرفأ، الدقل)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق، 2011، ص208 .

[2]- جيرار جينيت و آخرون، **الفضاء الروائي**، ترجمة عبد الرحيم حزل، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002، ص 74.

[3]- حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، ص 36.

وبالتالي فإن وحدة العمل السردي لا تتأتى إلا بتضافر و تلاحم مكوناته، فالمكان هو من يحتوي جل العناصر السردية الأخرى، و يدخلها في علاقة متداخلة تساهم في تشكيل النسيج اللغوي للبناء الروائي ،إضافة إلى ذلك تعمل على تأكيد الدلالات التي قصد إليها الكاتب وتقويتها.

2- دلالة المكان في العمل الروائي

يكشف المكان بطبيعته عن بعده الثقافي للشعوب و عاداتهم وتقاليدهم و بهذا يصبح ذا قيمة موضوعية وفنية، حيث يعمل الإنسان من خلال تعلقه بالمكان إلى التعبير عن محيطه النفسي منه بتجسيد كيانه وتواجده الفردي والاجتماعي.

ويمكن القول إنّ المكان «**يشكل المسار الذي يسلكه اتجاه السرد، كون الإنسان يمكنه أن يمضي من المكان في أي اتجاه أراد ويمكنه أن يرجع**»[1]، نستنتج من خلال ذلك أنّ المكان يشكل الأرضية التي تنطلق منها الشخصيات وتعود إليها.

وهو أيضاً «**مكان ثقافي، أي أنّ الإنسان يحوّل معطيات الواقع المحسوس وينظمها، لا من خلال توظيفها المادي لسدّ حاجاته المعيشية فقط، بل من خلال إعطائها دلالة وقيمة إدخالها في نظام اللغة**»[2]، من خلال هذا نستنتج أنّ المكان لا يؤدي وظيفة حسية فقط وإنما له وظيفة معرفية تتمثل في تقديم معطيات معرفية عن البيئة والواقع الذي جرت فيه الأحداث.

---

[1]- قدور عمان ، **محاضرات في تحليل الخطاب**، مصلحة التكوين عن بعد، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ص20.

[2]-أحمد طاهر حسين وآخرون، **جماليات المكان**، ص64.

و المكان لا تكون له قيمة ولا يؤدي وظيفة إلاّ بارتباطه بالبنى السردية الأخرى من شخصيات، زمان، ومكان، و عملية فهم طبيعته بكل أبعاده تختلف باختلاف ذواتنا و نظرتنا إليه، و عدم اقتصاره على مفهومه الذهني البسيط بل إلى بعده الإيحائي المتمثل في المشاعر والأحاسيس سواء كانت ايجابية أو سلبية «**فالأماكن تقترب بأحاسيس قارة تغمر نفسيات الأبطال فكلما كان المكان منفتحا متحررا كانت أحاسيس الشخصية تغمرها إما السعادة أو الأمل في تحقيق الهدف المنشود أو على الأقل الانعتاق و الشعور لبرهة بالخلاص من الحزن والخوف و الاختناق أما إذا كان المكان منغلقا فإن الأساس الطاغي على الشخصي هو الحزن أو الإحباط المعنوي أو اليأس**»[1] ، وقد يجعل الروائي شخصياته تطلّ من أعالي الموجودات أو تقطن أماكن مرتفعة تساعد على الّتطلع والاكتشاف والّتغيير.

إن القراءة الكفيلة بالكشف عن دلالة المكان تجعلنا نقول إنّه لا يتوّقف عند تحديد الملامح الجسدية والاجتماعية والّنفسية للشخصية، وإنّما يمتد إلى الإفصاح عن عقلية الهيئة الاجتماعية وطرائق تفكيرها.

[1]– عبد العزيز شبيل،**الفن الروائي عند غادة السمان** ، دار المعارف للطباعة والنشر ،تونس، ط1، 1987، ص55.

3- الوصف المكاني ووظائفه

3-1- طبيعة الوصف:

الوصف المكاني هو«**أداة تشكل صورة المكان، ولذلك يكون للرواية-أية رواية- بعدان: أحدهما أفقي يشير الى السيرورة الزمنية، والآخر عمودي يشير الى المجال المكاني الذي تجري فيه الأحداث عن طريق التحام السرد**»[1].

وقد عرفت جميع الأجناس الأدبية شعراً أو نثراً سواء قصيدة أم رواية أسلوب الوصف، هذا الأخير يكون للشخصية بذكر الظواهر الجسدية لها كالقامة، لون البشرة، لون العينين وشكلهما، ولون الشعر...الخ، أو وصفها داخلياً ونفسياً بالتطرق لحالتها النفسية كأن تشعر بالخوف، الألم، الحنان والحب...الخ.

وطبيعة الوصف المكاني «**يستلهما المؤلف من الطبيعة الواقعية الموجودة حوله، والتي هي جزء منها-فيظهر المكان الروائي إمّا في صورة جميلة جمال الواقع الذي استقى من معينه الكاتب فكرته السردية، وإمّا أن يكون في صورة رديئة إذا كانت الفكرة تعالج واقعاً مريراً ومشتتاً**»[2].

نستنتج أنّ الوصف يهتم بالمكان إذ يبينه ويخرجه لنا في صور مختلفة، إن كان يتسم بالضيق أو الاتساع، بالعلو أو الانخفاض، بالحسن أو القبح...الخ.

---

[1]-حميد لحمداني، **بنية النص السردي**، ص80.

[2]- اسماعيل زغودة، **بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة عبد الجليل مرتاض أنموذجاً**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2014/2013، ص297.

وعن طريق الوصف يلجأ الروائي إلى تفجير طاقاته الإبداعية واللغوية إذ يمكن القول إنّ «**الوصف للمكان ليس غاية في ذاته، إنّما هو وسيلة لخلق الفضاء الروائي**»[1]، الذي يعدّ مسرح تجري فيه الأحداث وتتحرّك فيه الشخصيات.

وحتى يكون للوصف تأثير كبير على المتلقي لابدّ من توفير الدقة فيه والتطرق لأهمّ جزئياته، وهو أيضاً «**صورة ذهنية متباينة بين الروائيين سواء أكانت محاكاة المكان حقيقي أو كانت متخيلة**»[2]، نستنتج من ذلك أنّ لكلّ روائي طريقته المميزة في الوصف، وهي تختلف من واحد لآخر نتيجة القدرات الفردية لكلّ واحد منهم، فنجد الروائي ذي النفس الطويل في الوصف والدقة والتطرق لأبسط الجزئيات والتفاصيل بالمقابل نجد آخر وصفه سطحي لا يتجاوز ذلك.

[1]- إسماعيل زغودة، **بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة عبد الجليل مرتاض أنموذجاً**، ص301.

[2]-المرجع نفسه، ص300.

3-2- وظائف الوصف المكاني:

تعتمد الرواية على الوصف الذي يجعل المتلقي أكثر تعلقا بالنص من أجل الكشف عن شفراته ودلالته الإيحائية، واختلفت الآراء في عدّ وظائف الوصف المكاني إذ نجد من اعتبر لها وظيفتين وهناك من قال ثلاثة وظائف.

3-2-1- الوظيفة الجمالية:

يعتبر الجمال حقيقة في هذا الكون والحق هو ذروة الجمال، ويعرّفه الكندي بقوله «**مرجع الإحساس بالجمال هو التأثر النفسي بالشيء الجميل، سواء كان لوناً أو رائحة أو لحناً، فهناك قاسم مشترك بين اللون واللحن، أمّا الرائحة فهي الموسيقى الصامتة**»[1]، و بهذا فإن الشيء الجميل له وقع وتأثير كبير في أنفسنا.

والوظيفة الجمالية هي الانتقال من الحكي عن سيرورة الأحداث وتحرّك الشخصيات إلى وصف ذلك بطريقة فنية جمالية، فالكاتب «**يجعل من الوصف الروائي زخرفة يتزين بها النص السردي، فيذهب بنا إلى الشخصيات، أو إلى طبيعة الأمكنة أو غير ذلك من المكونات التي تقبل الوصف**»[2]، يعتبر الوصف من خلال هذه المقولة زخرفة يتحلّى بها العمل الروائي.

[1]-ماجد محمد حسن، **مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي** http://www.rezgar.com.2009/04/10

[2] -سيزا قاسم، **بناء الرواية، ص**115.

ويؤكد ذلك حميد لحمداني فيقول عن الوصف بأنّه «**عمل تزييني وهو يشكل استراحة في وسط الأحداث السردية، ويكون وصفاً خالصاً لا ضرورة له بالنسبة لدلالة الحكي**»[1].

3-2-2- الوظيفة الإيهامية:

الوظيفة الإيهامية من اختصاص القارئ ومدى قدرته على التفاعل مع الأحداث وتوهّم حقيقتها ومصداقيتها، إذ يسعى الروائي كي يدخل «**العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخييلي ويشعر القارئ أنّه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال**»[2].

كما يلعب الوصف المكاني دوراً هاماً في «**تحقيق الإيهامية والهروب من ألم الواقع والحياة المضنية من شطف العيش وقسوة الواقع إلى الغابات والعوالم المسحورة والقصور، ومن عالم الفقر الكافر والجوع الفتاك، والكدح المذل إلى عالم اللذات والمتع والترف النعيم**»[3]، فالوصف يحقق الإيهامية في الرواية ويمزج بين عالم الخيال والواقع.

ومن خلال الأحداث يجد القارئ نفسه «**يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخييلي ويشعر القارئ أنّه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال**»[4]، كل ذلك يعدّ نتيجة الوصف الذي وظفه الكاتب في عمله الأدبي.

---

[1] -حميد لحمداني، **بنية النص السردي**، ص79.

[2] - سيزا قاسم، **بناء الرواية**، ص115.

[3] - إبراهيم السعافين: **تحولات السرد**، ص 166 .

[4] -سيزا قاسم، **بناء الرواية**، ص115.

3-2-3- الوظيفة التفسيرية:

تعتبر اللغة من أهمّ الوسائل التواصلية بين الأشخاص، لما تلعبه من دور بارز وجليّ في تفسير حالة الشخصيات في العمل الروائي، ومعرفة دواخلها ونوازعها ومدى تأثير المكان الذي تتواجد فيه على نفسيتها.

والوظيفة التفسيرية تعمل على «**وصف الحالة الظاهرية والباطنية للشخصية من خلال علاقتها بالمكان الروائي، ومدى تأثيره عليها**»[1]، فهو يساعد المتلقي على معرفة جل التفاصيل عن الشخصية، وذلك من خلال مرتبتها الاجتماعية ومستواها المالي والدراسي إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن أن نجدها في العمل السردي بأسلوب صريح، ولكن يمكن الإشارة إليها عن طريق الوصف المكاني القائم على التفسير والتوضيح.

وليس للوصف غاية جمالية فقط وإنّما يسعى إلى تغير عدّة أمور غامضة يصعب على المتلقي استيعابها، وبالتالي يلجأ الروائي إلى التغيير والتعليل والتبسيط لكلّ ما هو غامض وخفي.

[1]- إسماعيل زغودة، **بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة عبد الجليل مرتاض أنموذجاً**، ص320.

المبحث الأول: الأمكنة المغلقة في رواية "شعلة المايدة"

تحمل رواية "شعلة المايدة"، العديد من الدلالات والرموز التي تجعلها تعبّر عن الإسقاطات التاريخية، فقد استندت على التاريخ من أجل نقل صورة عن واقع حدث في حقبة من تاريخ الوطن، و الطريقة المتوخاة في هذه الدراسة تقتصر على التقاطب الحاصل بين الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة، مع الإشارة إلى ما يتفرع عن هذه الأماكن نبينها فيما يلي:

1- الخيمة:

يشكل المكان في رواية "شعلة المايدة" جزءا مهمّا في الساحة السردية عبر حضوره المكثف بمختلف أنواعه ودوره الفاعل في بناء الأحداث و صيرورتها، كونه الحيز الذي يحتضن تنقلات الشخصيات ويرسم وجودها ضمن جغرافية معينة تفرضها طبيعة المنطقة – منطقة الانتماء- لذلك سيكون الحديث عن الخيمة كنموذج مكاني يدلل على خصائص بيئية واجتماعية متعددة تتعالق مع الحياة العامة لشخصيات "شعلة المايدة" فالخيمة مكان حاوي وحاضن لوجود إنساني معين، وهي المكان الذي يشير إلى طفولة راشد و ذكرياته المتعلقة بهذه المرحلة العمرية المبكرة كونها الفضاء الذي اختارته العائلة من أجل الإقامة فيه وممارسة عاداتهم اليومية لذلك نلحظ ذلك الارتباط الوثيق بين راشد كإنسان و بين الخيمة كمكان رامز لهذا الإنسان، حيث يرصد لنا النص هذا المعنى فيقول: «**و لما وصل خيمة شعر الماعز الباهتة الألوان حنى سمه الطويل النحيف و نزع خفه المهترئ عند فتحتها الأمامية و ألقى التحية بصوت خافت وهو يدخل الخيمة ثم اقترب من عمه**

الحاج يحي فلثم عمامته التوتية النظيفة و جلس إلى جانب والده»[1] كما أن الخيمة تعد داخل الرواية رمزا دالا على أصالة المنطقة و عراقتها و ارتباطها بالأصول والجذور كونها في بعدها الدلالي مكون أساسي من مكونات البيئة العربية القديمة، إضافة إلى أنها في الرواية أسست لبعد اجتماعي معين يدلل على طبيعة الحياة هناك، في تلك المنطقة المنتمية إلى بيئة بدوية تتخذ الخيمة مأوى اختياريا تنبني عليه الحياة الاجتماعية بكل أبعادها الثقافية المادية ، حيث أننا نستطيع أن نستشف كل المقاصد الواصفة والدالة على الممارسات والطقوس اليومية الخاصة بشخوص الرواية خاصة بالشخصية البطلة، إذ أننا نلمس ذلك التلاحم العاطفي و الوجداني بين راشد والخيمة كمكان يحتل صفة الذاكرة وصفة التاريخ بالنسبة للبطل، حيث يورد النص على ذلك قائلا «**دخل راشد جناح الخيمة المخصص للمطبخ العائلي ثم جلس على جلد شاة، وتناول بسرعة الغداء الذي كان يتألف من كسرة شعير ولبن الماعز وحبات من التين المجفف، ثم خرج من الخيمة قاصدا الجهة الجنوبية الشرقية»**[2] .

من خلال هذا القول نستطيع أن نكون صورة عامة عن حياة راشد ووالديه بكل ملامحها فذلك الوصف الذي أتاحه النص لمحتويات الخيمة و تجزيئاتها يحيل على صفتي البساطة و الوضاعة كسمتين أساسيتين من السمات الحياتية لشخصية راشد كونه يمثل نموذجا عاما لأهل المنطقة و بذل تتخذ الخيمة في "شعلة المايدة" شكل الفضاء المقترن بالوجود الإنساني الدال على استمرارية الحياة والعطاء، و لعل النص يمعن في تثبيت دلالات الخيمة في علاقاتها بالإنسان تأكيدا على أن

[1]- محمد مفلاح ، **شعلة المايدة**، ص 03

[2]- المصدر نفسه ، ص 09.

طبيعة العلاقة بين المكان و الفرد في "شعلة المايدة" هي علاقة تنبني في جوهرها على الاتصال لا على الانفصال، حيث يورد ما يشير إلى ذلك فيقول «**سكت لحظة شرب فيها ماء باردا ممزوجا بالقطران صبته له زوجته من القربة المغلقة في إحدى ركائز الخيمة**»[1] أو شخصية البطل نفسه و هو يتأهب للسفر إلى مازونة حين أراد أن ينجز حلم والده من أجل متابعة دراسته، يقول السارد: « **لف عمامته على رأسه الحليق لبس خفه المصنوع من جلد الماعز، حمل إناء طينيا سكب فيه بعض الماء من القربة، ثم توجه إلى صخرة ضخمة كانت خلف الخيمة فجلس بجانبها، توضأ بسرعة بالماء البارد، و الكلب الأحمر مانو يقفز أمامه محركا ذيله الطويل، أما الكلب الأصفر صافو القذر فظل كعادته منبطحا تحت شجرة التين، وبعد ذلك قصد راشد الخيمة ثم صلى فيها على جلد شاة**»[2] .

فالنص هنا ينقل لنا الدلالات العميقة التي تشكلها الخيمة كمكان واهب للحياة و ركيزة مهمة في صيرورتها، حيث يؤدي ذلك إلى انتقاء صفة العارض على الخيمة كمكان اختياري و اكتساب صفة الدائم والباقي، فراشد ووالديه وجميع أهل المنطقة ينحازون نحو الخيمة انحيازا اختياريا لا انحيازا اضطراريا إذ لا نلمس في النص ما يشير إلى وجود علامة من علامات التذمر أو السخط من الخيمة كمكان للإقامة ما يؤكد على العلاقة التلازمية و التلاحمية بين الكيانين، الكيان الإنساني و الكيان المادي تفرضها طبيعة كل منطقة منذ الأزل، و سنوضح في هذا المقام على أن الخيمة هنا تتخذ شكل البيت في بعده المادي وكذلك العاطفي من خلال احتوائه للتفاصيل الحياتية للشخوص،

[1]- محمد مفلاح ، **شعلة المايدة**،ص 53

[2]- المصدر نفسه، ص 21.

فهي مكان مثلا احتوى طفولة راشد، و كان شاهدا قبله على مولده، و هي مكان للأكل ، للنوم، للجلوس، للحديث، لممارسة الشعائر الدينية، هي مكان أيضا لاستقبال الضيوف و لإقامة الولائم ، لذلك ترسم لنا وظائف الخيمة المذكورة العلاقة العاطفية والنفسية بين راشد البطل والخيمة " البيت" حيث ترتبط الخيمة في بعدها الفني لا المادي بذاكرة راشد مسهمة في خلق شحنات عاطفية تعمق الشعور بالانتماء عبر وضع تاريخ طفولي ممزوج بذكريات تطبعها مشاعر متضاربة بين الفرح والحزن والألم و غيرها لتصير الخيمة مكانا ذو حمولات عاطفية ونفسية يدل على التشبث بالأرض و بالتراب و يورد النص ما يوضح مكانة الخيمة في تلك الحقبة الزمنية، و في تلك المنطقة التي ينتمي إليها راشد،فيقول «**في يوم جميل من فصل الخريف استيقظ راشد باكرا بعدما قضى ليلته متقلبا في فراشه القديم، ثم أشعل الشمعة المثبتة على حجرة صغيرة ملساء و نهض بخفة، ارتدى جبته التي كانت معلقة بإحدى ركائز الخيمة**»[1]

و لما يذكر السارد فصل الخريف بالذات لا يذكر ذلك اعتباطا، و إنما دلالة على أن هذا الفصل يرمز إلى الاختفاء والغياب والأفول، ولولا الخريف لما أطل فصل الشتاء، كما تحيلنا صورة الركائز المثبتة بالخيمة بصورة أهالي المنطقة المتشبثين بالأرض رغم الضرائب المجحفة من طرف الأتراك وقساوة الطبيعة، و ما يؤكد ذلك قول السارد:«**إنكم تصرون على أن ندفع على كل محراث حمولة بعير من القمح و حمولة أخرى من الشعير، وأنتم تعلمون أن الجفاف قضى على زراعتنا، فالأراضي لم تنتج شيئا منذ سنوات**»[2].

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة** ، ص 21

[2]- المصدر نفسه ص 80.

و بالتالي تتجاوز المكان الممثل في الخيمة بعده المادي الهندسي إلى أبعاد أخرى تتعلق بإحداث التوازن الروحي للشخصية عن طريق احتواء الخيمة لأحزان وهموم وهواجس راشد سواء في مكان إقامته أو أثناء رحلاته المختلفة عبر الصور الحميمية التي تكفلها عملية التذكر للفضاء الأول ما يؤدي إلى أنسنة الخيمة و انتقالها من البعد المادي إلى البعد المعنوي و في النص ما يوضح ذلك «**ولما قضى صلاته رأى والدته في فستانها الرمادي الخشن الفضفاض و هي تحمل كوبا طينيا قدمته له قائلة بصوت خافت:**

–سنشتاق إليك يا بني:

تناول منها الكوب الذي كان يحتوي على حليب ساخن، ثم قال لها مواسيا:

–لن يهدأ لي بال حتى أعود إلى الخيمة»[1].

هنا تشير الخيمة إلى أنها المكان الأول الذي تصب فيه الشخصية ألمها وفرحها وحزنها وغضبها، وهي مصدر الراحة والأمن والطمأنينة، إنه سحر المكان و قوة ارتباط الإنسان في الوضع الطبيعي الذي ينبغي أن يكون فيه، فهو الذي يمتلك المكان و صاحب الحق فيه أولاً و أخيرا.

هذا التمثيل النصي يعمق من رمزية الخيمة منتقلا بها من حيزها الضيق إلى معناها الموسع باتخاذها شكل الأرض أو الوطن الذي يرتبط مع راشد في علاقة تماهي تعيده دائما إلى أصله الأول ففي رحلاته المختلفة كان راشد دائما مسكونا بالقلق لانفصاله عن الخيمة، مكانه الأول ومصدر الراحة والسكينة يقول النص في ذلك « **قضى راشد أيامه الأولى بمرقد المدرسة، وظل**

[1]– محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص 22.

يفكر تارة في والديه و بخاصة أمه الحزينة على فراقه، وتارة أخرى في يمينة السمراء التي ازداد خوفه عليها من بطش والدها»[1]

و تعيدنا صورة الخيمة في "شعلة المايدة" إلى علاقة العربي في القديم بالخيمة حيث تخلص صورة تناصية تجمع الماضي القديم بالحاضر في ذلك الزمن المتحدث عنه في الرواية محدثة ذلك التفاعل بين الأزمنة الثلاث خالقة بذلك نموذج عربي موحد يتجاوز الأبعاد الجغرافية و العرقية المحدودة،كما أننا نشير في سياق حديثنا عن الخيمة في رواية "شعلة المايدة" على أن المكان الروائي مجسدا في الخيمة بأبعادها الفنية المختلفة قد ساهم في إحالتنا على بعد آخر منضافا إلى الأبعاد الدلالية لهذا المكان و هو البعد التاريخي، إذ أن صورة الخيمة ووظائفها و علاقاتها بالإنسان هناك قد أحالنا على تاريخية المنطقة في تلك الفترة الزمنية من تاريخ الجزئر من خلال إبراز القيم الاجتماعية والثقافية التي تدل على نظام العيش آنذاك ، وتضعنا كذلك أمام خصوصيات المنطقة (الغرب الجزائري) ، و أيضا خصوصيات المناطق المجاورة أو حتى البعيدة التي جسدتها الرحلات العديدة لبطل الرواية ، فالخيمة في بعدها التاريخي تؤسس للإنسان الجزائري آنذاك تؤسس لنظامه الغذائي(الحلب الساخن التمر) و نظام الأزيائي (الجبة العمامة الفسان الخشن الفضفاض')' ونظامه المادي من حرف و فرش و عادات تزيينية " (اناء طيني، شمعة، حجرة صغير ملساء القربية جلد شاة) " بالإضافة إلى الجولات الفكرية من التمسك بالعادات والتقاليد وإقامة الشعائر الدينية الدالة على البعد الروحي الذي جسدته الخيمة لأنه المكان الحاوي لهذه الشعائر.

[1]- محمد مفلاح ، **شعلة المايدة** ، ص 27.

لذلك يمكننا ختاما لهذا العنصر أن نقول أن الخيمة في رواية "شعلة المايدة" كانت تمثل الفضاء الذي يربط الإنسان بواقعه لكونها أعادت ترسيم العلاقة بين الإنسان و بين المكان عبر علاقة التضام ضمن تمازج طبيعي خالق لوجود إنساني فاعل .

2- المدرسة:

إذا عدنا إلى المدرسة في رواية "محمد مفلاح" فهو يتحدث عن المدرسة المحمدية في العهد العثماني، وليست كما نعرفها اليوم تلك البيئة الصناعية التي أوجدها التطور الاجتماعي لكي تكمل الدور الذي مارسته الأسرة في تربية وإعداد أبنائها ، حيث يتفق أغلب من زار الجزائر خلال العهد العثماني على كثرة المدارس و انتشار التعليم و ندرة الأمية بين السكان فكانت تقوم إلى جانب وظيفتها التعبدية و الدينية بوظائف تربوية تعليمية يقول السارد: « **كان راشد يقضي أوقات فراغه في مطالعة المخطوطات بمكتبة المدرسة أو في أحلام اليقظة منتظرا اليوم الذي يتخرج فيه من المدرسة ويعود إلى الدوار** »[1]، هذا المشهد يرمز إلى القيمة الدينية والمعنوية لهذه المدرسة ، كما برزت أهمية المكان بالنسبة لشخصية البطل راشد ، فهي التي جعلت منه طالب علم ومثقفا و مجاهدا في سبيل وطنه ، إنها المكان الذي تفتحت فيها أفكاره على عوالم لم يرها حتى أنه حاز على إجازة من شيخه، يقول السارد: «**و أمضى راشد جل أوقاته في حلقات الدرس يتلقى الروح في مختصر الشيخ خليل بن إسحاق وألفية ابن مالك وصحيح البخاري والعقيدة الصغرى في أصول الدين وسلم الأخضري في المنطق وقد نال بعد جهد كبير إجازة من الشيخ أبي**

[1]- محمد مفلاح ، **شعلة المايدة**، ص 31.

طالب نفسه »[1]، إنها مكان مغلق لأنّ راشد يمتثل فيها لأوامر وتعليمات شيخه ، إضافة إلى أنها المكان الذي حددت مكوناته ومساحته كما كشفت عن الألفة والأمان و يبقى فيها البطل فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين .

كما وظفت المدرسة في هذه الرواية للدلالة على مدى مساهمتها في بعث حركة التأليف خلال ذلك الزمن يقول السارد:«**و استقر راشد بالمدرسة المحمدية التي كان يديرها الشيخ جلالي ، و قد كلف راشد بنسخ المخطوطات و أصبح يتقاضى أجرة على عمله الجديد، و خالط المدرسين والموظفين الذين كان يضمهم المسجد والمدرسة و منهم قرّاء القرآن الكريم** »[2].

وهكذا يكون "محمد مفلاح" قد وظف المدرسة للتعبير على أنها كانت بمثابة المحطة المغلقة التي تحققت داخلها الأماني و الأحلام إضافة إلى كونها الموضع الذي يهدف إلى إحداث إصلاح ثقافي غايته الأسمى إعادة بعث الشريعة الإسلامية الصحيحة السليمة .

[1]-محمد مفلاح، **شعلة المايدة**، ص 31.

[2]- المصدر نفسه، ص 67.

3 -المقهى:

يعدّ المقهى كمكان خاص جزءاً من الفضاء العام ، فهو المكان الاجتماعي وملتقى لقطاع واسع من الناس بمختلف الشرائح والطبقات، لذا فالمقهى يأخذ قيمة فنية في عملية الإبداع الأدبي حيث جاء بدور ظاهر وملموس في الأعمال الإبداعية على مستوى الفن الروائي، ومهما اختلف الشكل النوع فهو مكان لارتياد الناس، حيث يقضون فيه وقتاً مؤقتا و لاشك أنّ «**وجوده في الشارع العربي قد منحه بعدا جماليا جديدا، فقد أتاح المقهى للروائي و الفنان أن يتأملا الشارع جيدا و يدركا جيدا ما يدور فيه، و بكل بساطة كان المقهى هو كرسي التأمل للشارع وكان هو كرسي الفرجة على الشارع**»[1].

يأتي المقهى في رواية "شعلة المايدة" كمكان انتقال خصوصي، و فضاء لتحرك الشخصيات و التقائها كلما وجدت لنفسها فسحة من الزمن لتعبر للآخر عما يختلج في ذواتها من مشاغل الحياة و مشاقها.

و رسم "محمد مفلاح" صورة قديمة للمقهى في روايته، فهي تلك التي كانت عليها في الزمن السابق وهذا ما جعلها تنقل جانبا مهما من الخصوصية التاريخية التي تميز بها المقهى في القرن السادس عشر من تاريخ الجزائر القديم، و هو حتما يختلف في كثير من جوانبه عن مقهى الشارع العربي اليوم.

[1]- شاكر النابلسي، **جماليات المكان في الرواية العربية**، ص 65.

والمقهى مكان للالتقاء، والتخلص من الوحدة، أو مكان موحٍ للذكريات، يحمل دفء الماضي وبرد الحاضر، يروي السارد متحدثا عن البطل راشد «**و أصبح يرافق القندوز القصيري مصحح ألواح الطلبة إلى مقهى سليم الغرناطي الذي يلتقي فيه الشعراء و المطربون و بعض أعيان المدينة يجلس الصديقان على حصير قديم و يتناولان القهوة التي كانت تحضر على نيران الفحم، وكان راشد يستمع إلى حكايات القندوز القصيري الذي كان يهوى التدخين رغم تحريمه من بعض الفقهاء، و قد نصح صديقه العاشق بالابتعاد عن آفة التدخين و لكن القندوز القصيري قال له ساخرا التدخين يجعل منك رجلا متحضرا ثم ابتسم بغبطة وأتبع قائلا بعدما نفث الدخان نحو الفضاء عندما تشاهدك المرأة و أنت تدخن يزداد إعجابها بك، لقد قرأت ذلك في عيني حبيبتي خدوجة**»[1] ، هنا نجد أن هذا المقطع المتجزأ من الرواية يحدد لنا نوع الفئات الاجتماعية التي تعودت ارتياده،إضافة إلى الوسائل البسيطة التي يتكون منها كالحصير القديم، والعلاقة بين المقهى كمكان، والإنسان باعتباره مرتاداً، علاقة حميمية، فالمرتاد حريص على الاحتفاظ بمقعد في هذا المكان وكأن تشبث الطلبة بهذا المكان هو دليل على التمسك بالوجود والحياة، أو الدفء والحنان، و هذا ما يدعم تلك الفرضية التي أعلنا عنها في البداية من أن المقهى، هو مكان خاص بامتياز حينما يجمع فئات بعينها، الشعراء و المطربون و أعيان المدينة في مكان واحد، مما يدلّ على أن المقهى لم يأت لإبراز الجانب الهندسي بوصفه وإنما لرؤية معرفية، مادية ومعنوية، ليعطي فرصة الاسترجاع إلى الماضي، واجترار معالم الذات لهؤلاء الطلبة لتظهر دلالة حاضرهم أيضاً، كما

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة**، ص 68.

يعطي دلالة الحرية الفكرية والاجتماعية من دون حسيب أو رقيب، و يشكل كذلك نقطة انتقال من الخارج إلى الداخل و من العالم إلى الذات بما يتضمنه ذلك الانتقال من كسر لحاجز القيم و العادات التي تثقل كاهل الشخصية بالالتزامات و المحظورات، كما حدث لشخصية "القندوز القصيري" مصحح ألواح الطلبة الذي كان يهوى التدخين رغم تحريمه من بعض الفقهاء، وبالتالي فالمقهى كمكان، كان رمزاً للحرية الفكرية، ورمزاً للحرية الاجتماعية، حيث يستطيع الإنسان أن يقول فيه ما يشاء و يفعل ما يشاء.

وارتبطت المقهى في صورة أخرى نعمل على رصد مجال حركة الشخصيات على ضوء جدلية الداخل و الخارج التي تتبع نمو المكان في "شعلة المايدة" لإدراك أهم الدلالات المترتبة عن ذلك الانتقال، يقول السارد: «**ومرت عليهما مرة امرأة بدينة تتمايل في حائكها التلمساني الجميل و هي تشد طرفيه عند صدرها الناهد بيدها اليمنى المخضبة بالحناء، فتحرك القندوز القصيري على الحصير القديم كمن لدغته أفعى و تنهد متمتما هي...هي راشد ثم قفز واقفا و سار في الاتجاه الذي سلكته المرأة البدينة و لكنه سرعان ما عاد إلى مكانه السابق و قال بحزن مازال ذلك الوحش يطاردها كان يراقبها من محل التاجر اليهودي**»[1].

هذا المقطع السردي يبين على حالة المقهى، فالجالس فيه كثيرا ما يتيح بنظره الى الخارج ليتفرج على الشارع، وهنا يتبين ان مكان المقهى يطل على طريق تمر منه مختلف الطرائق بدليل عبور المرأة من

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة**، ص 68.

هناك و المعروف في أعرافنا أن المرأة لا يمكنها المرور من أمام المقهى لتحفظ كرامتها و تصون نفسها ، وأما تصوير السارد في لباسها و زينتها في تأصل للتراث الجزائري

والمقهى عند "محمد مفلاح" خلق تلك العلاقة التفاعلية بينه وبين الشخوص كمتنفس يجد فيه الشخص راحته ليعبر عن همومه و أحزانه يتيح للفرد حرية التعبير و حرية التأمل لعالم اخر أفضل خاصة في عالم "شعلة المايدة" الذي امتاز بخصوصية مميزة وحالة المقهى هذه ماهي إلا صورة عن وضع المجتمع المتضارب الأفكار و الرؤى والإيديولوجيات ، فقد جاء ليس في موقعه فقط، وليس في شكله الداخلي أو الخارجي، وليس في تاريخه، ولكن مقهاه جاءت تتيح للإنسان ليعبر عن ذاته بما يمنحه من حرية البوح عما يختلج في دواخل النفوس من مكبوتات، بقدر ما هي مستلبة الحرية في أماكن أخرى، بقدر ما تهبه المقهى هذه الحرية.

4- الرباط:

يشكل الرباط داخل رواية "شعلة المايدة" حيزا مهما من المكان الروائي عبر تجسيداته المختلفة نظرا لأن النص هو نص تاريخي يحكي حيثيات ووقائع تخص تحرير وهران في تلك الفترة الزمنية لذلك يرد الرباط مقرونا بفعل الجهاد ضمن علاقة تلازمية ، فالرباط كمكان مرتبط منذ القدم بالحروب وقد شكل على مدار حقب زمنية متواصلة من التاريخ العربي الإسلامي مكونا أساسيا من مكونات التشكيل المكاني المؤسسة لجغرافية أي منطقة خصوصا ما تعلق بالمناطق الحدودية أو المناطق المتاخمة لمراكز العدو حيث كانت تقام الرباطات لحراسة الثغور .

ويحضر الرباط في الرواية ضمن بعده الأول المتعلق بالقيام بوظيفة الجهاد كواجب إلزامي مقدس يحتم اتخاذ كمثل هذه الأماكن دفاعا عن الوطن و درعا لهجمات العدو المتربص، وفي النص ما يوضح ذلك قائلا «**لقد علمت من المشائخ أنه كان بوهران رباط يسمى صلب الفتح و سمعت منهم انه كان يقيم فيه المجاهدون للعبادة والدفاع عن ثغور الإسلام** »[1] لذلك كان اللجوء إلى الرباط في الرواية نتيجة أوامر الباي، و هذا الفعل يؤكد على أهمية الفعل الجهادي في المنظومة الفكرية العربية الإسلامية، وأهميته كذلك بالنسبة لسكان و حكام الجزائر عبر مختلف الفترات الزمنية ما يؤكد على أن ارض الجزائر كانت دائما متربصا للطامعين و ما أهّلها لأن يقترن اسمها بالجهاد كفعل دال على خصائص هذه الأرض «**رفع الباي سبابة يمناه نحو الأعلى ثم حركها قائلا بقوة: –سيتوقف التدريس في كل أنحاء البايليك و لا يسمح به إلا في رباط المايدة،**

[1] – محمد مفلاح، **شعلة المايدة**، ص99

هذا قراري و لا رجعة فيه من يرفض تطبيقه سيتعرض للعقوبة الشديدة. و خاطب الخليفة بغضب :ألم تقل لهم بأنهم كانوا أول المنادين للجهاد؟ ألم يحثونا على محاربة العدو؟ بل سمعت بعضهم يتهمنا بالتقاعس عن الجهاد..لا.. لن أسمح بأي اعتراض لقد تحملت مسؤوليتي . و سيكون العلماء و الطلبة في الصفوف الأمامية»[1].

لذلك يصير الرباط في بعده الفني دالا على العلاقة التلاحمية بين الإنسان الجزائري و بين الوطن، كون هذا الأخير يكتسب صفة المقدّس مجاوزة بالوطن البعد التاريخي أو الجغرافي إلى البعد الديني العقيدي .

و يعدّ الرباط في الرواية مكانا مغلقا نظرا لتربعه على مساحة محدودة وهو مكان اضطراري يرتبط وجوده بظروف تاريخية معينة و يضم فئات اجتماعية مغلقة ، فالرباط إضافة إلى وظيفته الأولى وهي الجهاد والمحاربة حيث يوضح النص ذلك المعنى على لسان شيخ المدرسة أبو طالب في مدينة مازونة قائلا «**سأكون مع الطلبة في مقدمة المرابطين بجبل المايدة إن مازونة تعرف أهمية الرباط في الدفاع عن ثغور الإسلام**»[2] ، كما أنه يضطلع بوظائف أخرى تتجاوز الوظيفة العسكرية الحربية وهي الوظيفة الدينية والعلمية إذ أن السارد في الرواية يحول الرباط إلى مكان جامع يقوم بفعل الأمكنة الأخرى مجتمعة ، يحوله من مكان أحادي الفعل إلى مكان متعدد تتماهى فيه الفضاءات الأخرى بأبعاده الأخرى، إذ يصير الرباط داعيا لعمل المدرسة و الزاوية والسوق، و تتخذ تدليلات نصية على ذلك تقريبا للفكرة المذكورة حيث أننا نجد الباي يمنع التدريس في زوايا ومدارس البايلك

[1]– محمد مفلاح، **شعلة المايدة** ، ص100.

[2] – المصدر نفسه ، ص99

ويحث الطلبة على الالتحاق بالرباطات من أجل الجهاد حيث يقول النص «**سيتوقف التدريس في كل أنحاء البايلك و لا يسمح به إلا في رباط المايدة** »[1] و بذلك يصبح الرباط حاضنا و حاويا لطلبة العلم المرابطين ، وفي شاهد نصي يستحضر هذا المعنى «**و سيقيم في الرباط كل طلبة المدارس والكتاتيب**»[2] و هذا ما يجمع بين البعد الديني و البعد العسكري السياسي دون إمكانية الفصل بينهما .

ويضطلع بذلك الرباط بدور مزدوج دور خارجي ودور داخلي ، حيث يتمثل دوره الخارجي في مجابهة الأعداء والغزاة وحماية الثغور والحدود، أما الدور الداخلي فيتمثل في العمل التنويري التثقيفي بالاشتغال على طلب العلم و قراءة الكتب وتصنيف المخطوطات، وتأليف الكتب والمصنفات

إذ يوسع النص هذه الفكرة قائلا «**انتشرت الأخبية و الخيم بالرباطات و انشغل الطلبة بدراسة الفقه و النحو و التصوف، و أصبحوا لا يبرحون رباطهم إلا في الأوقات التي يعلن فيها عن ظهور الإسبان من خلف أسوار وهران أو حين يغامر الإسبان و المغاطيس بالاعتداء على الدواوير المجاورة للمدينة، و في الليل كان الطلبة يتلون القرآن الكريم و صحيح البخاري و المدائح النبوية،و هذا ما كان يثير الرعب في صفوف الإسبان و يزيدهم قلقًا على مصيرهم** »[3]

ويكتسب الرباط من هنا دلالات اجتماعية وثقافية و عسكرية تجاوز بعده المغلق إلى الانفتاح على الثقافة و على العلم، ما يجعل الرباط يتحول إلى مدينة في بعدها الحضاري حيث نجد أن الباي يضع

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة** ، ص 100

[2]- المصدر نفسه، ص 99

[3]- المصدر نفسه ، ص101.

إمدادات للرباط بتمويله و يكلف احد المشايخ بإدارته «**يكلف الشيخ الجيلالي بادارة شؤون الرباط ، و يساعده في مهامه الشيخ الطاهر بن حوى والشيخ بن زرفة الدحاوي**»[1]

و أثر ذلك يتحول الرباط إلى مكان استقطاب نظرا لانضمام عديد كبير من طلبة العلم إليه طامحين إلى العلم و إلى الشهادة حتى أنه «**لم يكن من السهل تسيير الرباط بعدما ازداد عدد الطلبة أصبح الباي نفسه يتابع شخصيا شؤون هذا الرباط، فلا يمر يوم دون أن يبعث برسائله إلى الشيخ الجيلالي للاطلاع على ظروف حياة المرابطين**»[2]

و في النص كان واضحا التعارض الموجود بين الطرفين، فعلاقة الطلبة المرابطين بالمكان الذي يشغلونه هي علاقة توحد و انسجام كونه مكان الآباء و الأجداد و هو معرض للخطر مما يستوجب الدفاع عن حياضه، يقول السارد:«**الصلح مع الإسبان لا يكون إلا بعد تحرير وهران ومرسى الكبير**»[3]، أما علاقة الطرف الآخر بالمكان فهي علاقة استلاب و تنافر ظهرت ملامحها في حالة الرعب و القلق الذي يمتلك ذواتهم و هم يواجهون مصيرهم المحتوم الذي انتهى بهم إلى الهزيمة و مغادرة المدينة.

دون أن ننسى حجم الدمار والخراب الذي ألحقه المجاهدون من خلال رباط "جبل المايدة" فلا نكاد نجد سبيلا إلى المكان العسكري إلا وقد شوهته نيران الحرب وبقرت بطنه القنابل، يقول السارد في وصف إحدى تلك الوحدات العسكرية ضد الإسبان «**و بدأ الهجوم من جديد**

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة** ، ص 100

[2]- المصدر نفسه، ص 107

[3]- المصدر نفسه ،ص 111.

على الأبراج. أرسل المجاهدون عدة قذائف على العدو وفجأة ظهرت السحب الكثيفة التي غطت سماء المدينة، فصاح راشد فرحا حين سمع قائد الحامية يردد بصوت أجش:

- **لقد أصبنا مخزن الأسلحة.**

ثم أخمدت النيران التي اندلعت من أحد مخازن الإسبان. وبعد ساعات قليلة أمر الباي بوضع المدافع و الآلات الحربية على جبل المايدة، ثم عين جنديا على كل مدفع ... ثم استأنفت المعارك وتدخلت بواخر العدو فقصفت جبل المايدة، وهاجم الطلبة أبراج المدينة بالقنابل فسقطت قنبلة على مخزن ذخيرة حربية أحدثت حريقا مهولا أتى على جزء هام من المدينة»[1]. وهكذا تم الاتفاق في التاسع من شهر ديسمبر 1791 على انسحاب اسبانيا من وهران و المرسى الكبير دون قيد أو شرط

و قياسا لدراستنا لهذا العنصر المكاني نستطيع القول أن حضور الرباط في رواية "شعلة المايدة "كان تدليلا على البعد الحضاري لمدينة وهران في تلك الحقبة الزمنية ، اذ نلمس ذلك الحرص على العلم حتى في أوقات الحروب و هو إشارة أيضا إلى مكانة العلم كرافد أساسي من روافد الحضارة و الرباط في بعده الفني يؤسس لثنائية تنبني عليها أي أمة وهي ثنائية العلمي و العسكري أو القوتين العسكرية والعلمية .

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة**، ص 115-116.

المبحث الثاني: الأمكنة المفتوحة في ''شعلة المايدة''

1-المدينة:

المدينة هي ذلك الفضاء الاجتماعي الثقافي الحميمي الذي تتفاعل فيه عديد من الخصائص و المميزات لتكون عالما مبحوثا عنه من طرف النفس البشرية الطامحة إلى السهولة والبساطة في العيش بعيدا عن قساوة الريف و بدويته فهي مسكن الإنسان الطبيعي.

و في رواية "شعلة المايدة" شكل هذا الفضاء المفتوح ميزة هامة بين مجموع الأمكنة فالمدينة نقيض الريف ما تزال تحمل تلك القيمة والخصوصية نظرا لطبيعتها المختلفة فطريقة عيش الناس و نمط حياتهم تجعل كل الأنظار متجهة إليها كما في قول السارد « **سافر إلى المدينة التي ستحقق فيها حلم سيدي الهاشمي**»[1] فهي ملتقى الأحلام والطموحات فحتى الشيخ الطاهر الذي يحث ابنه على السفر إلى المدينة يرى فيها موطن الأحلام الذي يفتقد إليه الريف و مجتمع ريفوي مازال يحمل تلك الأفكار البدائية القديمة غير المتحضرة التي تنفر الإنسان في غالب الإنسان فالسارد يقول «**ثم وضع لفافة الدخان بين شفتيه الغليظتين و أردف مخاطبا صديقه : أنت لم تتحرر بعد من الأفكار القديمة. لقد ربطت حياتك بالدوار وتقاليده مذ تزوجت إحدى بناته، أما أنا فقد قررت ألا أعود إلى منطقتي الجبلية**»[2]. و الروائي هنا يميز بين مجتمعين ريفي ومدني ينتصر فيها لمجتمع المدينة ، فحتى عالم الرواية قد نقل الواقع المعيش و نظرة الناس إلى المدينة كما أنه يثني أيضا على سكان المدينة و تعاطفهم مع محنة الاستعمار، و يبين عن مدى سخطهم و بغضهم لهذا الاستعمار الغاشم

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة**، ص 59

[2]- المصدر نفسه، ص 68.

، وهذا ما جعل البطل يتعاظم فرحا و هو يحدق في وجه القاضي الجليل الذي تابع قائلا بصدق «**– أتمنى أن أستشهد في هذه الحرب، ازدادت حماسة الحاضرين و ارتفعت حناجرهم بالدعوة إلى الجهاد ، ونهض بعض الرجال يتقدمهم شاب نحيل خاطب المشايخ قائلا بانفعال : – ماذا ينتظر الباي للإعلان عن الجهاد**»[1] .

و المدينة هذا المكان المفتوح بجمالياته عمل على تفاعل الشخصيات وتعامله معه في حين يطالعنا السارد في موضع أخر بوصف لمدينة وهران بقوله «**وهران الآن مدينة عظيمة يا بني .. فهي تقع على السفح الشرقي لجبل المايدة الذي كان يعرف باسم سيدي هيدور**»[2] و لفظ العظيمة قد منح المدينة صفة القداسة والرفعة و استيعاد وجه المدينة الضائع .

كما يصور لنا السارد أيضا نظرة إحدى شخصياته للمدينة فيقول «**تحرك راشد في مكانه وراح يتأمل المدينة التي ظهرت بمبانيها العجيبة المتراصة على منحدرات جبل بوزريعة، و بدت له ملتحمة ببعضها البعض و كأنها تحتمي من هجمات الغزاة، أعجبته بنايات حي القصبة العتيق و عرف من محمد الشلفي أن الجزائر بناها الفينيقيون و كانت تسمى إيكوسيم و تعني جزيرة الشوك، أو جزيرة الطيور الغير الطاهرة، و قد عرف الرومان اسمها فأصبحت تعرف بإيكوسيم وجددها بلكين بن زيري، و لما دخلها الأتراك في القرن السادس عشر ميلادي . ازدادت المدينة اتساعا..**»[3]

---

[1]– محمد مفلاح، **شعلة المايدة** ، ص 91.

[2]– المصدر نفسه ، ص 69

[3]– المصدر نفسه ، ص 44.

فالمدينة ببناياتها المتميزة والمتراصة كأنها تصور حالة المجتمع المتعاطف المتلاحم مع بعضه في وجه الاستعمار، كما لا يفوتنا أيضا أن البناء الهندسي بهذا الشكل يفضي إلى التراتبية والنظام التي تميز المجتمع المدني المتحضر ، وعند ربط السارد لهذه الأوصاف بتاريخ الجزائر فكأنما ينقلنا من اتساع المدينة إلى تاريخ الجزائر العتيق في علاقة هي الأخرى تسلسلية منظمة. وفي نص آخر يقول السارد «**طاف راشد بأزقة مدينة معسكر المطلة على سهل غريس الخصيب، فزار مركزها الذي يتواجد فيه مقر الباي و المسجد العتيق و الفندق الجديد و الحمام العجيب و السوق الكبير، ثم قضى بعض الوقت مهتما بالأنشطة الحرفية و التجارية التي كان يعج بها الطريق الرابط بين مركز المدينة و "بابا علي" و تفرج على محلات كان أصحابها من الحضر و الكراغلة و اليهود و جلبت اهتمامه المنتوجات المعروضة فيها .كالبرانيس الصوفية و الزرابي القلعية و النعال الجلدية والحياك الحريرية**»[1]

فالمدينة هذا الفضاء المفتوح الذي يحوي العديد من الأنشطة سواء الحرفية أو التجارية تبرز عمق التراث الجزائري، وتشبثه بعاداته وتقاليده من خلال جملة المعروضات المحلية وكأن الفرد الجزائري أراد أن يجابه الاستعمار ولو بشيء يبرز من خلاله حبه لوطنه و المتمثل في هذه الحرف و المبيعات الوطنية الخالصة، ومن جهة أخرى فالكاتب يحيلنا بهذه الملفوظات التعبيرية الوجيزة على أن المدينة هي ملتقى الأفكار والمواقف وحتى الأجناس، فالمحلات التي رآها راشد البطل في طريقه كان أصحابها من الحضر والكراغلة واليهود فالمكان المفتوح قد رسم لنا صورة المدينة وحدد معالمها وصفاتها و سمات

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة**، ص 66.

سكانها ، والوصف هذا قد أضفى على الرواية نوعا من الحركية والجمالية الفنية وابرز علاقاته بشخصيات الرواية، وهو وصف داخلي لحالة المدينة ، في حين نجد صنفا آخر بقول السارد « **وكان راشد يشعر بسعادة عظيمة وهو يتجول في أحياء المدينة التي كانت تحيط بها من الجهة الجنوبية سهول غريس الخصبة، وفي ظرف أيام قليلة ، زار حي بابا علي الشهير وحي عرقوب إسماعيل الذي يسكنه أهل المخزن كما تجول بحي الباب الشرقي وتفرج على صناعة الجلود بحي عين البيضاء، وحي سيدي امحمد بن علي، وتعرف على جل الأماكن الهامة ولكنه ظل متعلقا بالمدينة القديمة**».[1]

و هو وصف خارجي كملمح عام لشكل المدينة من الخارج و ما يحيط بها و دائما ما يربط لنا صورة المدينة المتحضرة ذات المباني العالية والمتميزة بصورة الريف الجميلة والقصبة وغالبا ما تحيط بالمدينة تلك السهول الخصبة والخضراء ، وكان السارد لا يتخلص من بداوة وجمال الريف ، فالحياة لم تبدأ من المدينة فقد سابقها الريف إلى الوجود ، فهذا التزاوج بين المدينة والريف قد خلق تلك العلاقة الحميمية رغم ضديتهما ،و تفاعلهما قد أضفى على المتن الحكائي حركية وتفاعلية، والطبيعة بخصوصيتها تبقى حامية للمدينة بمعماريتها التي تكون سهلة المنال من طرف الاستعمار، وهذا المكان ذو موقع جغرافي واحد عند الروائي، سواء كان الجزائر أو وهران الشلف، فهي أماكن مطلة على البحر مفتوحة مكشوفة للاستعمار حيث يقول«**وفي يوم الجمعة 30 جوان 1775، وصل**

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة**،ص 67.

الأسطول الإسباني المرسى القريب من الضفة الشرقية لوادي الحراش، و قيل إنه يتكون من عدد كبير من السفن الحربية ، ومن 25 ألف رجل»[1].

و في الأخير إنه لايسعنا القول أن المدينة كفضاء مفتوح له مميزاته وصفاته الخاصة، قد ساهمت في الشكل العام والفني للرواية فهي تحمل تلك الدلالات الرمزية التي تتطلب الوقوف عندها و التدليل عليها

2- السوق:

هو مكان من الأمكنة المفتوحة في بناء العمل الروائي، يستقبل وفود معتبرة من البشر خلال فترة زمنية محددة لقضاء شؤون حياتهم، كما يسمح للبعض بالالتقاء وتبادل أطراف الحديث، و يعتبر البوابة الرئيسة التي تكفل أداء هذا الركن الهام في حياة الناس إذ« **يعد ملاذا للتبضع بيعا وشراء ومكان للتلاقي و الحوار الاجتماعي المتبادل بين الناس»**[2].

استثمر "محمد مفلاح" الخصائص العامة لهذا المكان على المستويين الحكائي والبنائي، وقد بدا في رواية "شعلة المايدة" جزءا أساسيا من الأمكنة المفتوحة يضطلع بالعديد من الأدوار والوظائف على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، والثقافي، والسياسي، وهو على المستوى الفني للرواية يساعد على بلورة الحدث وتصعيده بفعل استقطابه لشخصيات عديدة وانفتاحه على كل العقليات والإيديولوجيات والطبقات الاجتماعية، بالإضافة إلى كونه الوسيلة الوحيدة لإبلاغ العامة بالتدابير والتعليمات الإدارية من خلال المنادي، فهو يدور في الأسواق وفي الأحياء حيث تزدحم

[1]- المصدر السابق، ص 45.

[2]- فهد حسين، **المكان في الرواية البحرينية**، فراديس للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص 89.

الأقدام، فيكرر ما يراد إعلام الجمهور به، وقد تميزت المناداة قديماً في أنها كانت تهدف إلى تنبيه العامة من جهة وإلى تخويفها عبر إعلامها بمعاقبة من يخالف السلطان، يقول السارد: «**رأيت هذا الصباح المنادي قنوش بسوق زمورة و هو يبلغ الناس عن زيارة الخليفة الأكحل .. قد يكون هناك جديد يا سي الطاهر ، تشاغل الشيخ الطاهر بتمشيط لحيته البيضاء بأنامل يمناه الضعيفة وقال متعجبا: فعلا .. لم يقرر الخليفة الأكحل زيارة منطقتنا إلا لأمر هام** »[1]

و السوق هنا فضلا عن دلالته الموجودة التي يقضي الناس حوائجهم لحلول يوم الاثنين فقد اكتسب دلالة جديدة في كونه البس صفة المحكمة التي تناقش فيها الأمور و السارد يعيدنا إلى زمن ماض كان السوق فيها يحظى بتلك القيمة.

ولم يركز الراوي على جغرافية السوق إلا في إشارته إلى أنه يقع في زمورة و يستمر من الصباح الباكر إلى المساء، ولم تكن الأعمال في يوم السوق محصورة في عمليات التجارة بيعاً وشراءً فحسب، بل كان السوق بمثابة مكان مفتوح يرتاده السكان في اجتماع أسبوعي كل يوم اثنين لأهل المنطقة التي يتم فيها للنظر في كافة الشؤون وغيرها، جاء في الرواية «**سألها عن والدها فأجابته بحياء : إنه في سوق زمورة، وضع راشد يمناه على جبينه العريض وقال: عمي رجل حيوي .. لن يتخلف عن سوق الاثنين مهما كان الأمر**»[2] ، و جاء السوق في هاته المشاهد للدلالة على الطبقة التحتية للمجتمع فهو يحفز الناس على البحث عما هو جديد، ويعطيهم إحساسا بالحرية فأمامهم فرص للاختيار لا حصر لها تقريبا.

---

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة**، ص 4.

[2]- المصدر نفسه، ص 55.

كما يركز السارد على تقديم السوق الجديدة في إطار حديثه عن الطلبة الذين كانوا متواجدين في موقع الرباط الذي يحاربون من خلاله الاستعمار الاسباني إذ يقول: «**ولما بلغ عدد الطلبة أكثر من مائة فريق، بنى لهم الباي ثلاث رحى ماء بجانب نهر مسرقين الموجود غربي مدينة وهران. ثم أمر بغلق كل الأسواق المنتشرة من وادي مينة إلى غاية تلمسان و استحدث سوقا قرب ايفري أصبح يقصده الطلبة لقضاء حوائجهم** »[1].و هذا دلالة على الأوضاع الحربية التي كانت تعيشها المدينة كما لم يركز على طبوغرافيا السوق باستثناء إشارته البسيطة إلى موقعها بجانب نهر مسرقين.

3- الجبل:

يعدّ الجبل من بين الأماكن التي يوظفها الروائيون في عملهم الأدبي ، فهو بالإضافة إلى تعاريجه ومنحنياته المشكلة لهضبته العتيدة، يعتبر مكانا مفتوحا على الإطلاق، من خلال روابيه وغاباته التي اتخذتها شخصية البطل راشد موضعا للراحة، يقول السارد: «**و عندما أطلت الشمس من وراء جبال الونشريس كان راشد قد وصل منطقة الحمادنة و سلك الدرب الصاعد إلى الروابي الخضراء حتى وقف على أعلى ربوة تشرف على سهل الشلف الخصيب. جلس قرب صخرة حمراء تحيط بها شجيرات السدرة من الجهة الغربية . استراح قليلا ثم تابع طريقه بين الروابي حتى وصل غابة صغيرة فجلس تحت ضلال شجرة بلوط ثم اخرج من كيسه كسرة شعير وحبات تين مجفف فتغدى قبل أن يغادر تلك الغابة وواصل سيره الحثيث و هو**

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة** ص108.

يترنم بقصائد الشعر الملحون»[1] ، إذ صور أعلى الجبل ثمّ عرض لثبوته ورسوخه في الأرض، مرورا بجانبه الذي يعلوه شجر عظيم يتخلله سهول، وهذه صفة الجنة التي لا ينال خيراتها إلا المقربون .

وإن كانت صورة الجبل الدالة على الرسوخ والثبات صورة تقليدية، فإنّ رسم التفصيلات وتحريك المشاهد بأفعال ماضية منقطعة (قطع وقف واصل) قد عمق دلالة الثبات والأصالة ونفخ روحا جديدة في هذه الصورة العتيقة.

و في مشهد آخر يصور السارد الجبل على أنه مكان للخلوة والتأمل خاصة بارتفاعه الشاهق إذ يقول : «**نهض قائما وسار بعض الخطوات ثم تفحص مكان الأشجار المقطوعة و تساءل فيما يستعمل رجال البايلك خشب أشجار البلوط ، وتذكر كلام عمه عن صناعة العربات الحربية لقد سمعه مرة يتحدث عنها بعد عودته من سوق مدينة معسكر. وعاد راشد بنظره إلى ربوة غليزان و إلى حقول الخضر وبساتين الحمضيات المحيطة بها ، ثم واصل سيره في درب ضيق حتى وصل جبل زمورة الذي تغطيه أشجار الزيتون البري. اقترب من زيتونة كانت منتصبة بجانب صخور ملساء و توقف لحظة التقط فيها بعض أنفاسه ثم ركز نظره الحاد في جبال الونشريس الشاهقة ثم في جبال الظهرة الشامخة ، وبعد ذلك عاد إلى الدوار وهو يصيح بصوت قوي ردد صداه الجبل الأخضر: سننتصر يا سيدي .. يا مولى المايدة**»[2] .

[1]- المصدر السابق ، ص 26-27.

[2]- المصدر نفسه، ص 11.

هذه الصورة الوصفية مفعمة بالحياة والانفتاح، تبرز بجلاء مدى الّتفاعل بين البطل والمكان، وتعكس الشعور بالانعتاق والّلهفة ، وهي ليست نابعة من الحنين إلى الماضي فحسب، بل نابعة من الحماية التي تمتلكها، والاطمئنان الذي تجسده والألفة التي تستقطبها.

إضافة إلى كل ما ذكرناه وظف "محمد مفلاح" الجبل مسرحا للأحداث العسكرية و قاعدة حربية و ذلك لتشديد الحصار على مدينة وهران المحتلة من طرف الإسبان، يقول السارد: «و في يوم آخر وضع الباي المدافع على جبل المايدة كما وجه بعض الجنود لوضع لغم تحت برج الجبل الشامخ»[1].

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة**، ص 98.

المبحث الثالث : الأمكنة المقدسة في رواية ''شعلة المايدة''

1- المسجد :

تستحضر "رواية شعلة المايدة" الأماكن المقدسة كعنصر مكون للبنية المكانية لذلك فإننا نلمس ذلك الحضور الفاعل للمسجد كمكان يمثل في أبعاده المختلفة، الجوانب الدينية المشكلة لشخصية الإنسان المسلم، فالمسجد في الفكر الإسلامي في بعده الرامز يعد أهم معلم ديني لممارسة الشعائر الدينية، إذ تتمثل وظيفته الأولى و الرئيسة في الوظيفة التعبدية الشعائرية ، كما أن المسجد مكان دال على روح الجماعة و هي قيمة أساسية من قيم المجتمعات الإسلامية ، وكما أشرنا سابقا فإن المسجد في لرواية شكل حضوره كمكان أساسي في تفعيل الأحداث من خلال احتضانه لأفعال الشخصيات، فقد كان بمثابة المنطلق أو المحطة التي تسهم في سيرورة العملية السردية ، إذ إن كل الشخصيات تتخذه مسارا سواء في إقامتها أو أثناء رحلاتها المتعددة ،حيث يورد النص ما يدل على ذلك عند حديثه على راشد الشخصية البطلة «**كان راشد جالسا في الزاوية اليمنى من مسجد المدرسة و هو يتصفح مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي**»[1] و في موضع آخر من الرواية يحضر المسجد ليدل على البعد الديني المميز لشخصية راشد فهي شخصية حريصة على التزاماتها الدينية رغم تغير الأحوال و الظروف و أماكن الحضور يقول السارد: « **تناول وجبة غدائه بمدينة القلعة ثم أدى صلاة العصر بمسجد سيدي ابراهيم التازي**»[2] .

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة**، ص32.

[2]- المصدر نفسه ، ص 125.

نشير من هذا السياق إلى أن المسجد في الرواية تجسد من خلال تجاوز وظيفته التعبدية كمكان مقدس يحتوي الصلوات الخمس و يضم الناس في الجمع والأعياد، إلى مكان يضطلع بوظائف اجتماعية متعددة وحاملا لقيم مجتمعية و إنسانية مختلفة، فهو أولا مكان يرمز إلى تمسك الناس و المجتمع في تلك الفترة الزمنية بالأفكار والمعتقدات الدينية كما أنه يعد رمزا على الثقافة العمرانية و التي تدل على أصالة المنطقة و حضارتها حيث يقول السارد في ذلك « **و قصد المسجد الأعظم الذي انتهت أشغاله منذ شهر واحد و ركز انتباهه في الآيات المنقوشة بخط كوفي على جدرانه وقرأ كل ما كتب على المحراب الخشبي**»[1]، وهو كذلك مكان يحفز على أفعال اجتماعية جليلة كالدعوة إلى الجهاد والدفاع عن الوطن، و لعل الوظيفة الأهم التي يشير إليها المسجد داخل محيط الرواية و التي تكاد تغيب في الزمن الحالي هي الوظيفة العلمية فيقول السارد موردا ما يشير إلى ذلك «**و في المسجد وجد علماء المدينة يتحدثون بحماس عن الزلازل و أسبابها فجلس و أسند ظهره إلى الجدار المغطى بالزليج ثم راح يستمع إلى الشيخ الجيلالي الذي اعتبر الزلزال إشارة عن اقتراب فتح وهران فهفتت حناجر الحاضرين بالتكبير و تحمست لتحرير أرض الإسلام**»[2] .

و يعدّ المسجد أيضا بناء مؤسسا للمنظومة الاجتماعية والثقافية لأي منطقة، حيث يكون مع الأحداث الجارية في هذه المنطقة أو المدينة في الرواية تذكر في موضع منها مشاركة المسجد في الاحتفالات التي عقبت هزم العدو الاسباني حيث جاء في النص «**غنى مطربو الأغنية البدوية**

[1]- محمد مفلاح، **شعلة المايدة** ص 66.

[2]- المصدر نفسه، ،ص90.

الوهرانية أجمل قصائد الشعر الملحون بآلتي القصبة والقلال كما نظم الشعراء القصائد المطولة بالفصحى و الدارجة و تلا الطلبة و المشايخ القرآن الكريم في المساجد و صدحوا بالأناشيد و المدائح النبوية»[1].

وهكذا نشير ختاما إلى أن المسجد رغم كونه مكانا مغلقا لكنه يضطلع بدور هام في المجتمع من خلال احتضانه للقيم الروحية والفكرية و العلمية.

2- الضريح :

الضريح هو القبر أي الحفرة التي تدفن فيها بعدما يوضع المقبور في لحدها و سمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا و يظل رمزا للفناء و الذكرى.

وقد تجلى الضريح كمكان بصورة بارزة داخل المحيط الفني للرواية ويشكل جزءا مهما في البنية المكاني التي احتواها نص "شعلة المايدة"، والاشتغال على هذا المكان يبين على أن الضريح رغم كونه مكانا اعتياديا يقوم بفعل المقابر في احتوائه للموتى، إلا أنه يكتسب بعد اجتماعيا يحيله على صفة القداسة التي تقربه من المسجد كمكان مقدس أول، يتفقان فقط في أداء الشعائر فكما شكل المسجد بداخل الرواية مكانا فاعلا للأحداث تشكل الضريح على هذا الأساس ، فالشخصيات سواء كان شخصيات أساسية أو شخصيات علمية أو شخصيات من العامة اتخذت الضريح مزارا ووجهة في ارتحالاتها المختلفة حيث يورد النص أهمية على لسان البطل تؤسس لهذا المعنى« **أتمنى ان تسمح لي الظروف بزيارة ضريح سيدي عبد الرحمن»**[2].

---

[1]- محمد مفلاح ،**شعلة المايدة**، ص 50.

[2]- المصدر نفسه، ص 35.

ويواصل النص التأكيد على هذه الأهمية فيقول السارد: « **وازداد راشد رغبة في زيارة ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي ولكنه اجل تحقيق رغبته إلا ما بعد انتهاء الحرب**»[1] .

كما أنه كانت تدور أحداث وأخبار عن زيارة الخليفة لمجموعة من الأضرحة، يقول السارد:« **و أخبره أن الخليفة زار ضريح سيدي بو عبد الله ثم توجه إلى ضريح سيدي واضح ، وبعد ذلك قصد ضريح سيدي عابد قبل أن يعسكر بالبطحاء. و أنهى أحمد العسكري كلامه بالحديث عن الخليفة الذي اشتهر باحترامه الشديد للصلحاء و زيارة أضرحتهم طلبا للبركة**»[2].

وتوضح هذه الأمثلة النصية إلى المكانة التي يكتسبها الضريح في المجتمعات الإسلامية و في المجتمع الجزائري على الخصوص، لأن الضريح يكتسب قداسته من القيمة الاجتماعية للولي الحامل لاسمه، ولعله بعد اجتماعي ديني يقوم على أساس من التبجيل و الاحترام للأولياء والصالحين كونهم عبادا ربانيين تقاة، عارفون بالله ، و هو إشارة كذلك إلى أرض الجزائر الحافلة بالأولياء والصلاح و العارفين ما يجعلها أرضا مقدسة.

و رواية "شعلة المايدة" تستحضر الضريح في بعده القداسي فقط فهو رمز للتقى و للصلاح و هو مكان للدعاء و طلب البركات، وتنفي عن بعده الاجتماعي الآخر الذي يجعل منه مكانا لبعض الممارسة والطقوس التي تمس بالقيم الدينية و العقائدية للمجتمعات المسلمة.

[1]-محمد مفلاح، شعلة المايدة ، ص 44.

[2]- المصدر نفسه، ص 41.

خاتمة :

وبعد عملنا في هذا البحث العلمي فإنّ خاتمته لا تعدّ نهاية له ، إنّما تبقى أسئلته الكثيرة مفتوحة للبحث و التحري، و ما وصلنا إليه ،ما هو إلّا حلقة في سلسلة البحوث الأدبية التي تهتم بدراسة الرواية، و منه نأتي لاستخلاص مجموعة من النتائج المتعلقة بموضوع البنية المكانية في "رواية شعلة المايدة" نعرضها فيما يلي:

- يطرح المكان –كمفهوم- إشكالية التعدد نظرا لكونه مفهوما تتجاذبه رؤى فكرية ونقدية تعرفه وفق زاويا نظر مختلفة.

- يرتبط المكان ارتباطا وثيقا مع العناصر السردية الأخرى، ليؤسس علاقة تلاحمية بين العناصر مجتمعة تقوم على أساس من الاتصال لا على أساس من الانفصال تسهم في خلق البعد الجمالي للعمل الروائي .

- يساهم المكان في تحديد المساحة التي تتفاعل فيها الشخصيات ما يدعم العملية السردية ويِؤطر سيرورة الأحداث.

- تعد رواية "شعلة المايدة" نصا يحتفي بالمكان في تجلياته المختلفة لذلك شكل العنصر الأبرز و الأقوى فنيا بين العناصر السردية الأخرى .

- هيمنة أماكن الانتقال على محيط الرواية و هذا إشارة إلى الأبعاد التاريخية فهي نص يحكي المكان و يغوص في جغرافية الوطن خلال تلك الحقبة الزمنية .

- أخذ المكان في نص "شعلة المايدة" أبعادا شتى: نفسية و اجتماعية ووطنية و سياسية وتاريخية ودينية، مما دل على الارتفاع بالمكان، من مجرد حيز جغرافي ضيق، إلى حيز لغوي ينبض بالحركة والحياة.

- يتجلى المكان في رواية "محمد مفلاح" ضمن أبعاده المتعددة بين المكان المغلق والمفتوح بين أمكنة الإقامة والانتقال محدثا ذلك التناغم الفني الذي صنع هوية جملية للنص.

و في ختام هذا البحث نرجوا أن تندرج دراستنا هذه ضمن البحوث العلمية الجادة التي تبحث عن الارتقاء بالحركة العلمية النقدية الأكاديمية، كما لا ندعي أننا أحطنا بكل جوانب الموضوع، أو أجبنا عن كل الإشكاليات المطروحة.

في حين لا يسعنا إلا شُكر المولى عز وجل أولا، كما لا ننسى أساذنا المشرف و كل من كان سندًا و عوناً لنا في إنجاز هذا البحث.

الملحق 01:

ملخص الرواية:

رواية "شعلة المايدة" رواية جزائرية للكاتب "محمد مفلاح" تعبر عن دروب العودة إلى مدينة وهران المحتلة من الاستعمار الاسباني، وتشتمل هذه الرواية على خمسة عشر مشهدا سرديا سنتعرف عليها بشيء من الاختصار .

تنفتح الرواية على **رؤية الشيخ جلول** صاحب زاوية مينه ، التي أولها كل من سمعها بأنها إشارة من مولى المايدة و رجال الله لتحرير وهران ، لتكون بذلك مبعثا للابتهاج عند راشد و بصيص أمل للحاج يحي، و سرعان ما تبدأ الرواية في سرد مختلف الأحداث التي تنسج خيوطها أمام راشد، فيتعرف على قصة عرج جده الهاشمي وموقفه البطولي عندما تحدى الوكيل حمدان و الجنود الأتراك. أصبح راشد مؤمنا بتحرير وهران خصوصا بعدما نصحه والده بالمشاركة في الجهاد الذي سيعلنه الباي إلا أن ما يعكر مزاجه هو رفض والده فكرة زواجه من يمينة بسبب احتراف والدها الشعوذة و اهتمامه بالبحث عن الكنوز.

يبدأ المشهد الثاني **بزيارة الخليفة الأكحل** بتحديد زمني مباشر في يوم الإثنين من شهر جوان عام 1772 يتوجه راشد نحو الجهة الشرقية و هو يتمنى أن يرى الخليفة الذي سيتولى منصب الباي بمدينة معسكر بل سيكون من جنده يوم تحرير وهران. و بعد أدعية و ابتهالات عظيمة ، يخرج عليهم الخليفة مخاطبا رجال الأعراش و مشايخ الزوايا من أجل الاستعداد لمحاربة الإسبان الذين عاثوا فسادا ، و حولوا المساجد إلى كنائس ، غير أن "رجال القبيلة يصرون على عرض احتجاجهم على القائد بلكابوس ليبلغه إلى الباي في مسألة الضرائب المجحفة.

و بعد ذلك انتقل إلى المشهد الثالث **هواجس طالب** حيث لم يكن سفر راشد إلى مازونة لمواصلة الدراسة أمرا سهلا بالنسبة لوالدته سكينة، و حتى يدخل بعض الاطمئنان إلى قلبها ذكرها بالقول لن أبقى هناك إذا لم تكن الظروف ملائمة، لثم راشد جبين والده ثم قبل رأس والدته ، و خرج من الخيمة ، و ذكرى يمينة تنعش فؤاده حينا و تمزقه حينا آخر، و قبل الغروب وصل إلى مازونة ، و في مدرستها الشهيرة استقبله محمد الشلفي الذي اشتهر في المدرسة بالجرأة وحدة الذكاء. قضى راشد أوقات فراغه في مطالعة المخطوطات بمكتبة المدرسة ، يتلّقى الشروح في مختصر الشيخ خليل و ألفية بن مالك ، و قد نال بعد جهد كبير إجازة من الشيخ أبي طالب نفسه.

ليبتدأ المشهد الرابع **بحملة أوريلي** حين جلس رسول الباي إلى يمين الشيخ أبي طالب و قد كلفه بتجنيد الطلبة للانضمام إلى الجيش الذي سيعسكر بعد يومين ببطحاء سيدي عابد لمقاومة حملة الغزاة التي حضر لها الإسبان تحت قيادة الجنرال أوريلي ذي الأصل الإيرلندي. و يتناول المشهد أيضا خروج الخليفة بعد تنظيم الجيش الذي ضم أكثر من أربعة آلاف فارس و كان راشد ضمن فرقة المشاة متجهين نحو مدينة مليانة. و قبل بزوغ الفجر الموالي ارتحل جيش بايلك الغرب إلى عين الربط آخر محطة يصلها الجيش بقيادة الخليفة الأكحل.

أما **يوم الحراش** فيصور في هذا المشهد مدى تحمس واستعداد جيش الربط للمقاومة و في يوم 30 جوان 1755 م ، وصل الأسطول الإسباني المرسى القريب من الضفة الشرقية لوادي الحراش، حيث وقعت مواجهات عنيفة. و بعد نزوله على الشواطئء شرع الباي صالح الأزميرلي في الهجوم على الغزاة الذين كانوا محاصرين من ناحية الشاطئ و قوافل من الإبل التي كانت تقي

المجاهدين ، مما صعب عليهم الهرب إلى سفنهم فسقط عدد كبير منهم ، فكان ذلك بمثابة تباشير النصر.

و بعد نهاية المعارك في الحراش عاد السارد ليفتتح مشهدا جديدا تمثل في **أفراح الجبل**حيث عاد راشد إلى الدوار و التقى رجال العرش في خيمة الشيخ الطاهر وتحادث معهم عن الخليفة و قيادته الحكيمة لجند البايلك أثناء الحرب ، تألّم راشد كثيرا لما سمع بخبر زواج يمينة السمراء بمسعود الخماس، ليستقر تفكيره في الأخير بالزواج من ابنة عمه "مهدية التي لم يفكر يوما في الاقتران بها.

في المشهد السابع **الأحلام الجميلة** يتحّقق حلم سكان البايلك بعد تعيين الأكحل في منصب الباي ، الذي لم يتردد في إرسال خليفته و قواده إلى شيوخ القبائل ليحثهم على الاستعداد لمحاربة الإسبان . و ضمن هذه الأحداث طفت على السطح قضية جباية الضرائب المجحفة، استقر راشد بالمدرسة المحمدية التي كان يديرها الشيخ الجيلالي، بعدما كلفه بنسخ المخطوطات مقابل عشرة ريالات، و شاءت الظروف أن يلتقي راشد بالشيخ أحمد بن هطال الذي أعجب بخطه الجميل فكلفه بنسخ بعض كتاباته الأدبية.

أما المشهد الثامن **الدنوش الكبير** سعد فيه راشد كثيرا حين اختير من بين الطلبة لمرافقة قافلة "الدنوش الكبير " الذي يقوده الباي لتقديم العوائد و الهدايا إلى الداي بمدينة الجزائر، كما سعد راشد كثيرا بعدما سمع من بعض رجال عرشه بشرى مولوده الذي سماه جده الهاشمي الصغير لينتهي المشهد برد الباي الذي جاء بصوت هادئ أن العلماء و مشايخ الزوايا يعتقدون أن الجهاد فرض على كل المسلمين وقد حان وقته.

اما المشهد التاسع فتمثل في **لقاء الكاف الأزرق** حيث خرج الباي على رأس موكبه من مدينة معسكر متجها نحو بطحاء الكاف الأزرق لتسوية الأوضاع المتوترة هناك ، بعد أن هاجمت قبيلة فليتة الحامية التركية التي نهبت خيرات الناس الآمنين ، في حين تستفيد القبائل المخزنية من المنافع و المزايا الكثيرة لم يعد راشد يحتمل الحياة بالدوار، بعد أن استولى عليه حزن عميق، حين رأى يمينة المطلقة و هي التي أحبها، فقد طلقها مسعود الخماس دون شفقة و في الصباح الباكر ودع راشد زوجته ووالديه و قبل ابنه و توجه إلى مدينة معسكر.

ينفتح المشهد العاشر **زلزال الخريف** على المنادي قنوش الذي يبلغ سكان مدينة معسكر بخبر زلزال وهران ، و حين وصلت أنباءه إلى المدرسة المحمدية ، تعلقت عينا راشد بشفتي الشيخ لجيلالي الذي قال بصوته الهادئ : زلزال وهران إشارة من الله تعالى على نهاية تواجد الإسبان ببلادنا و تحمست كل قبائل المنطقة على محاربة العدو ووجد الباي نفسه مضطرا لإعلان الحرب.

تتسارع أحداث المشهد الحادي عشر **وقائع وهران** حين يأمر الباي قواده بتجنيد الجزائريين ، و في ظرف أسبوع تطوع خمسون ألف مجاهد في جيش البايلك ، و من جهة أخرى علم الباي من جواسيسه بوهران "أن ملك إسبانيا أرسل أكثر من 7000 جندي لمواجهة مقاومة الجزائريين مما أرغمه على استغلال جبل المايدة لتشديد الحصار على وهران.

أما المشهد الثاني عشر **رحلة الشيخ والطلبة** انفتح على نص الرسالة التي حملها رسول الباي إلى الشيخ أبو طالب ، و الذي لم يتوان في إعلان استعداده للجهاد من أجل الدين و الوطن حاثا الطلبة على الاستعداد للسفر إلى رباط وهران في هذه الأثناء كان محمد الشلفي من بين الطلبة المتحمسين للجهاد و هو يتأهب للخروج من معسكر عانق راشد صديقه محمد الشلفي بعد أن طلب منه هذا الأخير بإحضار الأوراق و الدواة لتدوين بعض الأحداث الهامة.

في المشهد الثالث عشر **زمن البارود** يستقبل الباي كاتبه أحمد بن هطال بحفاوة كبيرة ، بعد أن نجح في مهمة شراء الأسلحة من الانجليز ، و ها هو رسول الباي إلى منطقة زواوة يصل محملا بكمية كبيرة من البارود ، كل هذه الأحداث تتسارع و يتلقاها الباي بصوت مسموع النصر قريب و كتب راشد في ورقة من الأوراق التي يحتفظ بها قرابه في قرابه هذا زمن البارود.

أما في المشهد الرابع عشر **المعارك الأخيرة** فأقبل فيها شعبان بريد الداي ، حاملا رسالة مستعجلة إلى الباي ، يطلب فيها الرأي في أمر الصلح الذي يرغب فيه الإسبان، و هو ما علق عليه الخليفة بلهجة أسفة بالقول" لم يطلب الإسبان الصلح إلا خوفا من مقاومتنا، أرسل الباي رسوله إلى الطلبة يعلمهم قرار توقيف الحرب ، ثم توجه إلى ميناء مستغانم ليشرف على عملية إنزال المدافع و نقلها إلى مركز المدينة.بدأ الهجوم على الأبراج و فجأة ظهرت سحب كثيفة غطت سماء المدينة ، بعد إصابة النيران أحد مخازن الإسبان ، كما حاول الباي الهجوم من جديد على المدينة بعد أن وضع المدافع و الآلات الحربية على جبل المايدة و لكن رسول الداي اتصل به و بلغه أمر ديوان الجزائر

بتوقيف القتال. "و في اليوم التاسع من شهر ديسمبر 1791 م تم الاتفاق الذي نص على انسحاب اسبانيا من وهران و المرسى الكبير دون قيد أو شرط.

لتتختم الرواية بالمشهد الأخير **العودة** فعاد فيه الباي إلى المدينة المحررة وهران ، و انطلقت القنابل المدوية من مدافع أبراجها، معلنة بداية العودة الأخيرة ، حتى تم تحرير وهران و المرسى الكبير، ودع راشد صديقه لينتقل إلى الدوار و يتفقد أحوال عائلته هناك لقد مات والده و هو راض عنه ، هذا ما قالته والدته سكينة بصوت باك، قبل أن تسلمه مخطوطا أصفر اللون تركه المرحوم. قرر راشد الرحيل إلى وهران مع عائلته الصغيرة بعدما نصحه عمه الحاج يحي الذي التقاه أمام قبر والده وجده الهاشمي الأعرج بالقول خذ عائلتك و ارحل بسرعة ، و هران في حاجة إلى أمثالك.

الملحق 01:

خاص بالكاتب و أهم مؤلفاته:

*** نبذة عن حياة الروائي و الباحث "محمد مفلاح"**



محمد مفلاح روائي و قاص و باحث، من مواليد 28 ديسمبر 1953 بولاية غليزان (الجزائر)، و لعل أول ما يميز هذا القلم هو إخلاصه للإبداع و إصراره على مواصلة الدرب بثبات وعمق، كتب أول رواية له و هي الإنفجار التي نال عنها الجائزة الثانية في مسابقة نظمتها وزارة الثقافة سنة 1982 ، بمناسبة الذكرى العشرين للاستقلال، مما حّفزه على الإنتاج و الانتشار خلال سنوات المحنة وبعدها.

*** أعمال الكاتب "محمد مفلاح"**

صدر للكاتب مجموعة هامة من الأعمال في تخصصات و فنون مختلفة من بينها هذه الظفيرة من الكتب.

في الرواية:

1- هموم الزمن الفلاقي مجلة الوحدة، ط1، 1984 نالت الجائزة الأولى في مسابقة الذكرى الثلاثين لاندلا ع الثورة (سنة 1984).

2- زمن العشق و الأخطار، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986

3- خيرة و الجبال، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988

4- الكافية و الوشام، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط 1، سنة 2002

5- الوساوس الغربية، دار الحكمة، 2005

6- عائلة من فخار، دار الغرب للنشر و التوزيع، 2008

7- انكسار، دار طليطلة، سنة 2010

في القصة القصيرة:

8- السابق، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1 ،1983

9- أسرار المدينة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1991

10- الكراسي الشرسة، منشورات مديرية الثقافة لولاية معسكر، 2009

قصص للأطفال:

11- معطف القط مينوش، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، سنة 1990

12- مغامرات النملة كحلية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، سنة 1990

13- وصية الشيخ مسعود، ط 1، المؤسسة الوطنية للنشر و الصحافة (إناب)، 1992

كتب في التاريخ و التراجم:

14- شهادة نقابي، دار الحكمة، سنة 2005

15- أعلام من منطقة غليزان، مطبعة هومة، سنة 2006

16- شعراء الملحون بمنطقة غليزان من العهد العثماني إلى غاية القرن العشرين مطبعة هومة، سنة 2008

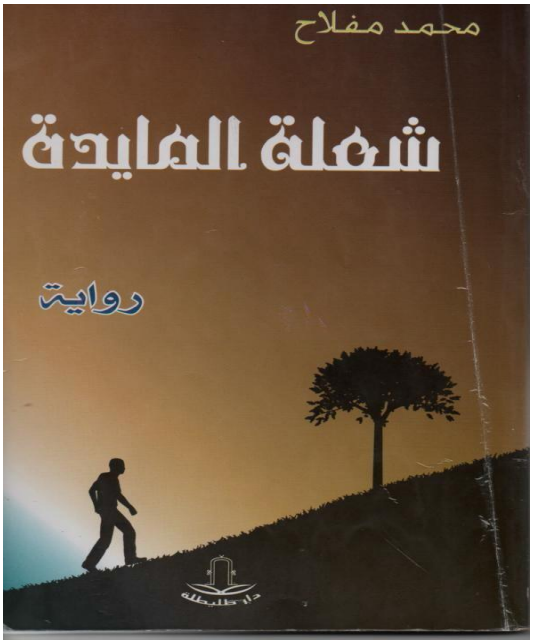
17- أعلام من منطقة غليزان: و يشمل الكتب الثلاثة الآتية: سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864 ،دار المعرفة، 2009

18- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة غليزان ،دار قرطبة ، سنة 2011

19- مراكز التعليم العربي الحر في مدينة غليزان، دار قرطبة، سنة 2011

الملحق 01:

*صورة غلاف رواية "شعلة المايدة"



الواجهة الأمامية:

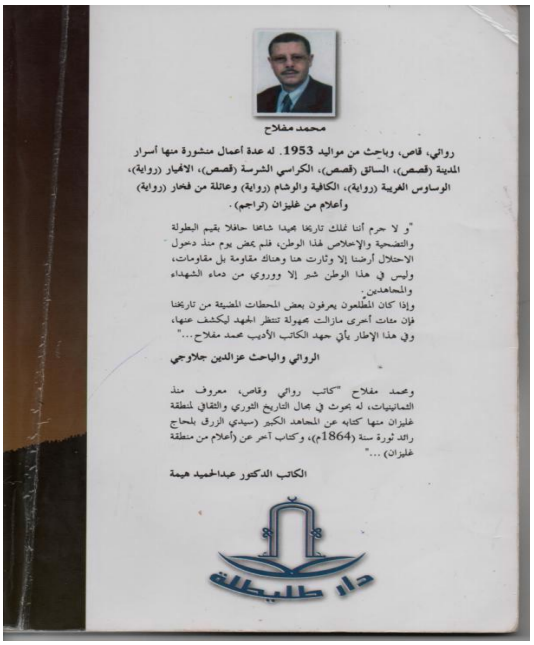
تاريخ النشر: 2010

الناشر: دار طليطلة للنشر والتوزيع(الجزائر)

عدد الصفحات:131

النوع: غلاف عادي

الواجهة الخلفية



أولا: المصادر

1- محمد مفلاح، شعلة المايدة، دار طليطلة، الجزائر، ط1، 2010

ثانيا : المراجع بالعربية

1. إبراهيم السعافين، **تحولات السرد: دراسة في الرواية العربية** ، دار الشروق، عمان، الأردن ، 1996.

2. إبراهيم خليل، **بنية النص الروائي**، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط1، د.ت.

3. أحمد زياد محبك، **دراسات نقدية من الأسطورة إلى القصة القصيرة**، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2001 .

4. أحمد طاهر حسين وآخرون، **جماليات المكان**،دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988.

5. -أحمد فرخوش، **جماليات النص الروائي**، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1996.

6. أسماء شاهين،**جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا**، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001.

7. الصادق بن ناعس نعومة، **علم السرد: المحتوى والخطاب والدلالة**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2009.

8. حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1، 1990.

9. حسن محمد العبيدي: **نظرية المكان في فلسفة ابن سينا**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1987

10. حفيظة أحمد، **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية**، 1950 – 2000، مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، ط1، 2007.

11. سمر روحي الفيصل، **بناء الرواية السورية**، منشورات اتحاد كتب العرب، دمشق، ط1، 1995.

12. سيزا قاسم، **بناء الرواية**، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار النشر للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 1995.

13. شاكر النابلسي، **جماليات المكان في الرواية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994.

14. عبد العزيز شبيل،**الفن الروائي عند غادة السمان** ، دار المعارف للطباعة والنشر ،تونس، ط1، 1987،

15. عبد الفتاح عثمان، **بناء الرواية** (دراسة الرواية المصرية)، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، دت.

16. عبد الملك مرتاض، **تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية** ،مركبة لزقاق المدّق، ديوان المطبوعات الجامعية.

17. عبد الملك مرتاض، **في نظرية الرواية** ، بحث في تقنية السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1998.

18. عزيزة مريدن، **القصة والرواية**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1980.

19. قادة عقاق، **دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر**، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، دمشق، 2001.

20. قدور عمان ، **محاضرات في تحليل الخطاب**، مصلحة التكوين عن بعد، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ص20.

21. فهد حسين، **المكان في الرواية البحرينية**، فراديس للنشر والتوزيع، ط1، 2003

22. محمد صابر عبيد، سوسن البياتي ، **جماليات التشكيل الروائي** (دراسة في الملحمة الروائية)، مدارات الشرق، عالم الكتب الحديث للنشر، ط1، 2012.

23. مهدي عبيدي، **جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة**(حكاية بحار، المرفأ، الدقل)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق، 2011، ص208 .

24. ياسين النصر، **الرواية والمكان** ، دار الشؤون العامة، العراق، بغداد 1986.

25. -محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، تحقيق: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، المجلد الثالث (من حرف القاف إلى الياء) ط1، 1970.

26. نور الدين صدوق، **البداية في النص الروائي**، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1994.

رابعا المراجع المترجمة:

1. جوزيف كيسنر، **شعرية الفضاء الروائي**، تر: لحسن حمامة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2003

2. جيرار جينيت و آخرون، **الفضاء الروائي**، ترجمة عبد الرحيم حزل، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002

3. غاستون باشلار، **جماليات المكان**،تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

خامسا الرسائل الجامعية:

1. اسماعيل زغودة، **بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة عبد الجليل مرتاض أنموذجاً**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2014/2013، ص297.

سادسا المجلات:

1-عبد الله محمد عيسى الغزالي: **جمالية التشكيل المكاني في مقامات بديع الزمان الهمذاني**، المجلة الأردنية في اللغة العربية، مجلة علمية عالمية محكمة، جامعة مؤتة، مج 3، العدد2 ، ربيع الأول، نيسان 2007

2- يوسف محمود عليمات، **صورة المكان في شعرية ابن قيس الرقيات**، المجلة الأردنية في اللغة العربية ، مجلة علمية عالمية محكمة، جامعة مؤتة، مج 3، العدد2 ، ربيع الأول، نيسان 2007

سابعا المواقع الالكترونية:

1- ماجد محمد حسن، **مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي**

http://www.rezgar.com.2009/04/10

الفهـــــــــرس

- شكر

- إهداء

– مقدمة..... أ

–الفصل الأول: رؤية المكان في العمل الروائي..... 5

– المبحث الأول: في مفهوم المكان..... 6

1– تعريف مصطلح المكان 6

1-1- المكان لغة..... 6

1-2- المكان اصطلاحا..... 7

1-3- المكان في الرواية..... 12

2– أهمية المكان..... 13

3– مستويات المكان الروائي..... 16

3-1- مصادر المكان الروائي..... 16

3-2- أنواع المكان..... 18

المبحث الثاني: جماليات المكان في العمل الروائي..... 21

1– علاقة المكان بالعناصر السردية..... 21

1-1- علاقة المكان بالزمن..... 22

1-2- علاقة المكان بالشخصية 24

1-3- علاقة المكان بالحدث..... 26

2– دلالة المكان في العمل الروائي 27

3- **الوصف المكاني ووظائفه** 29

3-1-طبيعة الوصف..... 29

3-2- وظائف الوصف المكاني 31

3-2-1- الوظيفة الجمالية 31

3-2-2- الوظيفة الإيهامية..... 32
3-2-3- الوظيفة التفسيرية 33
الفصل الثاني: تجليات المكان في رواية شعلة المايدة ''دراسة تطبيقية''..... 35
المبحث الأول: الأمكنة المغلقة في شعلة المايدة 35
1- الخيمة..... 35
2- المدرسة 41
3- المقهى..... 43
4- الرباط..... 47
المبحث الثاني: الأمكنة المفتوحة في شعلة المايدة..... 52
1- المدينة..... 52
2- السوق..... 56
3- الجبل..... 58
المبحث الثالث: الأمكنة المقدسة في شعلة المايدة..... 61
1- المسجد..... 61
2- الضريح 63
خاتمة 66
الملحق..... 69
قائمة المصادر والمراجع 80
الفهرس 86

الفصـــل الأول

رؤية المكان في العمل الروائي ''دراسة نظرية''

المبحث الأول: فـي مفهـــوم المكان

1- تعريف مصطلح المكان

2- أهمية المكان الروائي

3- مستويات المكان الروائي

المبحث الثاني: جماليات المكان في الرواية

1- علاقة المكان بالعناصر السردية

2- دلالة المكان في الرواية

3- الوصف المكاني ووظائفه

الفصل الثانـــــي

تجليات المكان في رواية شعلة المايدة ''دراسة تطبيقية''

المبحث الأول: الأمكنة المغلقة في رواية ''شعلة المايدة''

1- الخيمة

2- المدرسة

3- المقهى

4- الرباط

المبحث الثاني: الأمكنة المفتوحة في رواية ''شعلة المايدة''

1- المدينة

2- السوق

3- الجبل

المبحث الثالث : الأمكنة المقدسة في ''شعلة المايدة''

1- المسجد

2- الضريح

مقدمة


بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته


بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم
ورحمة الله
وبركاته



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أهلاً وسهلاً



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها



البنية المكانية في رواية "شعلة المايدة" لمحمد مفلاح

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللّغة العربية وآدابها .

تخصص: تحليل الخطاب

إعداد الطالبين:
- تقي الدين سويسي .
- أحمد خميس .

إشراف الأستاذ:
- محمد سرير

2015/ 2014

أعضاء لجنة المناقشة :

- ✓ الأستاذ :محمد سريرمشرفا ومقررا
- ✓ الأستاذ : دوالي بلخير رئيسا ومناقشا
- ✓ الأستاذ : الصادق خشاب عضوا مناقشا

الإشكالية

كيف وظّف محمد مفلاح المكان في روايـــة شعلة المايدة؟

محمد مفلاح

شعلة المايدة

رواية



خطة البحث

المدخل

- مفهوم البنية
- مفهوم السرد
- البنية السردية

الفصل الأول:
بنية الفضاء الروائي لذاكرة الماء

المبحث الأول :
ماهية الفضاء وقضاياه الإشكالية

- ✓الفضاء إشكالية الماهية
- ✓الفضاءات المفتوحة والمغلقة

المبحث الثاني:
بنية الفضاء النصي لذاكرة الماء

- ✓ماهية العتبات النصية
- ✓عتبة العنوان ووظائفه
- ✓لوحة الغلاف
- ✓عتبة اسم المؤلف

الفصل الثاني:
بنية الشخصيات الروائية في ذاكرة الماء

المبحث الأول:
ماهية الشخصية الروائية

- ✓تعريف الشخصية
- ✓الشخصية الروائية التقليدية
- ✓الشخصية الروائية الحديثة
- ✓أنواع الشخصيات

المحث الثاني :
تقسيم الشخصيات عند فيليب هامون

- ✓ الشخصيات الروائية
- ✓ الشخصيات الواصلة
- ✓ الشخصيات المجازية

خاتمة

أهم النتائج المتوصل إليها:

- ✓يرتبط المكان ارتباطا وثيقا مع العناصر السردية الأخرى ليؤسس علاقة تلاحمية بين العناصر السردية الاخرى لتقوم على أساس من الاتصال لا على أساس من الانفصال.
- ✓يساهم المكان في تحديد المساحة التي تتفاعل فيها الشخصيات ما يدعم العملية السردية في سيرورة الأحداث .
- ✓يتجلى المكان في رواية محمد مفلاح ضمن أبعاده المتعددة بين المكان المفتوح والمغلق محدثا دلالات نفسية وإجتماعية ووطنية وسياسية وتاريخية.


شكرا على
حسن
اصغائكم


بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم
ورحمة الله
وبركاته

